

الْأَلْحَاكِي

أَسْبَابُهُ وَوَسَائِلُهُ وَمَظَاهِرُهُ وَعِلَاجُهُ

الْشَيْخُ الذَّكُورُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ خَلْفَانِ (المُعَمَّرِي)

الإسلام

أسسها رسول الله محمد ﷺ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م

نشر وتوزيع:
مكتبة خزائن الآثار
سلطنة عُمان - بركاء
نقال: ٠٠٩٦٨٩٥٥١٠٠٢٥



الراعي الإعلامي:
موقع بصيرة الإلكتروني
موسوعة إلكترونية في العلوم الإسلامية
لسماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي
المفتي العام لسلطنة عُمان
www.baseera.net : للتواصل

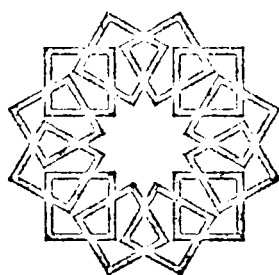


تصميم وطباعة:
مجموعة مسقط للأعمال التجارية

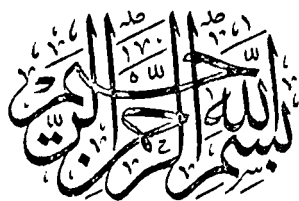


الإسكندرية

أسبابه ووسائله ومظاهره وعلاجه



السَّيِّحُ الذَّكَّورُ
عبد الله بن عبد بن خلفان المعمرى



أصلُ هذا الكتاب: ثلاث مجالس علميَّة، بُثَّت عن بُعدٍ، تناولت موضوع: قمع الإلحاد؛ وأسبابه ووسائله ومظاهره وعلاجه:

المجلس الأول: ليلة الأحد ٢٨ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ.

المجلس الثاني: ليلة الاثنين ٢٩ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ.

المجلس الثالث: ليلة الثلاثاء ٣٠ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ.

وقد روعي في طباعة نصِّ الحلقات: المحافظة على أصل اللقاءات كما هي، إلَّا في مواضع يسيرة يقتضيها التحرير، وقد أُضيفت عناوين فرعيَّة؛ لتسهيل القراءة.



الْمَجْلِسُ الشُّرَاعِيّ بِمَوْقِعِ بَصِيرَةٍ

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، وخاتم النبيين والمرسلين، ﷺ وعلى آله وصحبه، وعلى كل من سار على نهجه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد؛ فنحمد الله تعالى على توفيقه لنا للحديث عن هذا الموضوع الخطير، ألا وهو موضوع قمع الإلحاد.

وأجِبُّ أن أُنَبِّهَ إلى أنَّ القصد من تناول هذا الموضوع هو الإصلاح - إن شاء الله تعالى - ما استطعنا، وأوجَّهه إلى نفسي، وإلى إخواني جميعًا؛ وذلك لأجل أن نتعاون جميعًا للقيام بالدعوة إلى الله ﷻ، ولتحصين أنفسنا، وأولادنا، وإخواننا، ولأجل دفع هذا الخطر المحدق بنا، ومحاولة دعوة المتأثرين به إلى الحق، والهداية من الله ﷻ.

وستتناول هذا الموضوع من خلال أربعة محاور، وهي كما يلي:

المحور الأول: أسباب الوقوع في الإلحاد.

المحور الثاني: وسائل نشر الإلحاد.

المحور الثالث: مظاهر الإلحاد.

المحور الرابع: علاج الإلحاد.

ومن خلالها سنسعى - بإذن الله تعالى - إلى بحث جذور هذه القضية، والظروف المحيطة بها، وسبل ووسائل علاجها.

وليس الغرض من طرح وتناول هذا الموضوع، هو مناظرة أحد فيما يتعلق بالأفكار الإلحادية؛ لأنَّ كلَّ واحد له مجاله، ولا أتصور أنَّ مجرد المناظرة ستؤدِّي إلى نتيجة، وإن كان الحق أبلج، والله الحمد.

وقد طلب البعض مِنِّي أنْ أوسِّع المجال أكثر؛ لعل الله تعالى يهدي بعض المتأثرين بالإلحاد، وذلك بعرض شبههم، والرد عليها؛ لعل الله تعالى يهديهم، وهذا ممكن إن شاء الله.

إلا أنَّ الخطرَ أكبرُ من أنْ يتعلَّق بشخص واحد يعرض شبهته؛ فالخطر يحرق بالعالم كله، ويتطلب جهودًا جبَّارةً

مجتمعة بعد أن تُكَلَّل بتوفيق الله تعالى؛ للقضاء على هذا الخطر
الجاثم المهلك.

ونسأل الله أن يوفقنا لسديد القول، وصالح العمل، كما نسأله
تعالى التوفيق، والتيسير، والتسديد، والفوز، والنجاح، ألهمني الله
وإياكم العلم النافع، وأعاننا على العمل به.



مدخل

• تعريفُ الإلحاد:

الإلحاد لغة: الميل؛ كما هو استعمال اللغة العربية، ذكر ذلك شيخنا العلامة الحجة الخليلي - حفظه الله تعالى -، وأما في الاصطلاح الشرعي: فهو الميل عن الحق اعتقادًا، أو قولًا، أو فعلًا.

ولذلك يجب أن يكون إدراكنا لمعنى الإلحاد أوسع عمًا هو متداول عند البعض؛ من حصره بمعنى التكذيب بالله تعالى، أو رسوله ﷺ، أو باليوم الآخر، أو إنكار أي أمر معلوم في الدين بالضرورة، فمعنى الإلحاد أوسع من ذلك.

ويدل على ذلك كتاب الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ يُظْلِمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، فكل معصية لله ﷻ هي نوع من الإلحاد، حتى أن بعضهم قال: إن الباء مقحمة؛ وعلى هذا فهو أخطر من ذلك بكثير.

لكن بما أن الإلحاد شاع اليوم بما ينافي الإسلام من إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة؛ فإننا ستركز عليه إن شاء الله تعالى.

والمقصود بالإنكار هنا هو ذلك الإنكار الذي يكون دون تأويل؛ لأنَّ مَنْ أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة فإنَّ كان فَعَلَ ذلك تأويلاً، وكان هذا التأويل شبهةً يصلح أن يتمسك بها؛ فإنَّها تَذَرُّهُ عنه حكم الشرك، أو الردة عن الإسلام، وأما إنَّ كانت الشبهة واهية، أو لم يعتمد على شبهة مطلقاً؛ فإنه يُحَكِّمُ عليه بالشرك.

واعتماده على تلك الشبهة التي يجعلها تأويلاً لا يعني ذلك بأنَّه محق؛ بل هو مبطل، ولكن ينتقل من حكم الشرك إلى الفسق والعياذ بالله، فهو فاسق وإن كان مسلماً.

فهو ينتقل من الإسلام إلى الفسق، ويُحَكِّمُ عليه بذلك؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]؛ لأنَّ المسائل القطعية، أو العِلْمِيَّة، أو الإيمانِيَّة، أو اليقينية - حسب كلام أهل العلم في تسميتها - لا تحتل الخلاف، ولا يجوز فيها الاجتهاد، والحقُّ هو ما دلَّ عليه دليله من الكتاب، أو السنة، بشرط أن يكون قطعي الثبوت قطعي الدلالة.

وعلى هذا؛ فالحق ما دلَّ عليه الدليل، ومَنْ خَالَفَ بلا تأويل فهو مشرك، وإن كان مع تأويل فهو فاسق، وحَكَّى بعض أهل العلم الإجماع على ذلك.

• جهودُ سماحةِ شيخنا الخليلي في دفع الإلحاد:

هذه الظاهرة التي نتناولها، والتي نسعى إلى تشخيصها وعلاجها قد سبقنا إلى تناولها وعلاجها شيخنا العلامة أحمد بن حمد الخليلي - حفظه الله تعالى - المفتي العام للسلطنة، وقد قام بجهود كبيرة في هذا الموضوع.

وليس هذا الجهد وليد اليوم، بل هو جهدٌ أكثر من خمسين عامًا بفضل الله تعالى؛ فقد قام بمحاربة الفكر الشيوعي، وكان يُنَسَّقُ الجهود مع السلطات القائمة؛ لأجل القضاء على هذا الفكر معنويًا وماديًا؛ كما ذكر هذا الأمر في كتابه مصرع الإلحاد، وبين أن القضاء على هذا الفكر يكون بيدَيْن: يد من ذهب، ويد من حديد، أي: بالترغيب والترهيب، أو بالفكر والقوة، فهما يسيران معًا؛ لأنَّ الواجب عرض الحق على الناس ليكون ذلك حجة عليهم، فإنَّ قَبِلُوا ذلك أصبحوا مسلمين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإنَّ أصْرُوا على الباطل فقد جَنَوْا على أنفسهم، ويجب حسم مادة الشر.

• تأريخُ ظهورِ الإلحادِ عمومًا:

وبالنسبة لتأريخ الإلحاد فهو قديم جديد؛ فمنذ أن عصى إبليس ربه تعالى ظهر الإلحاد؛ لأنَّه أْبَى، واستكبر، كما قال الله تعالى: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ثم دعا إلى

الشرك بالله ﷻ، ومضى هذا الأمر القرون تلو القرون مما لا يعلم مداه إلا المولى ﷻ، وانتشر في أمر كثيرة أشركت بالله ﷻ، أو جحدت وجوده جلّ رَعْلَا.

لكن هذه الصورة، والتي عُرِفَتْ في هذا العصر بالإلحاد إنما تركّزت في القرون المتأخرة، بل في القرن الماضي والذي قبله؛ فقد ظهر الإلحاد في أوروبا منذ بدايات الثورة الفرنسية؛ لأنّ أوروبا كانت تدين بالنصرانية، أو اليهودية في أغلبها، وإن كانت سابقاً على الفكر اليوناني، ولا شك أنّه كانت فيه الوثنية، وكان يوجد فيه بعض الموحّدين أيضاً.

ثم جاءت الدولة الرومانية، وكانت على الفكر الوثني، وعندما ظهر المسيح ﷺ، وظهرت دعوته في أوروبا، وانتشرت، ودخل فيها قسطنطين، العاهل الرومي إلى النصرانية، وأدخَلَ فيها بدعة التثليث، وتألّيه المسيح عيسى ﷺ، وانتشر هذا الفكر في غالب أوروبا، وفي أتباع النصرانية بشكل عام إلا قليلاً.

وظلّ هذا الأمر مستمراً قرونًا إلى أن جاءت الثورة الفكرية الفرنسية، وهناك بدأ التّكُرُّ للدين، وإنكار الحقائق الدّينيّة، التي يدعو إليها الكتاب المقدّس؛ سواء العهد القديم أو العهد الجديد، أي: الشق اليهودي، أو النصراني.

فَظَهَرَ التَّنَكُّرُ لحقائق الغيب وللدين، ثم تطور هذا الأمر إلى أن ظهرت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م، وهُنا أُعْلِنَ عن قيام دولة تدين بالإلحاد، وهي الاتحاد السوفيتي، وكان من قبل قائماً على الرأسمالية، وعلى العلمانيّة التي فيها نوع من التزاوج بين التَّنَكُّرِ للدين، والاعتراف به على مضض؛ بحيث يُخَصَّرُ في زاوية ضيّقة من الحياة، أو بين جدران المعبد، أو الكنيسة، أو الدير، أو الكنيس كما يقولون، وبجعله علاقة خاصة بين العبد وربّه، وبعزله عن الحياة كلها.

لكن بقيام الاتحاد السوفيتي أُعْلِنَ عن الإلحاد رسمياً، وأصبحت هذه الدولة تتوسّع بنفوذها، وقوتها، وقهرها، وجبروتها.

وانتشر هذا الأمر في الصين الشعبية كذلك، وأُسِّسَتْ هنالك دولة تَتَبَنَّى هذا الفكر، وكان أوج قوتها وبطشها أيام حكم ماو تسي تونغ، أمّا في الاتحاد السوفيتي فقد حَكَمَهَا لينين، ثم ستالين، ثم ميخائيل غورباتشوف، ثم غيرهم.

وهكذا توالوا على نشر هذا الفكر، وانتشر هذا الأمر في طائفة من بلدان العالم ولكن بصور مختلفة؛ تارة بالفكر الإلحادي الظاهر، وتارة بالفكر الاشتراكي فيما يتعلق بالسياسة المالية، ولكن كان كله من منطلق الإلحاد.

وظهر هذا الأمر أكثر في بعض الدول؛ مثل فرنسا، وغيرها. ووصل الأمر إلى بعض البلاد العربية التي تأثرت به، وحكمت هذه الأحزاب التي تنتمي إلى هذا الفكر البلاد العربية من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق؛ فقد مرَّ على الجزائر، وتونس، وليبيا، وفترات في مصر أيضًا أيام عبد الناصر، وكذلك وصل الأمر إلى سوريا عن طريق ما يُعرَف بحزب البعث، وكذلك العراق، وفي بعض الفترات في السودان أيضًا، وفي اليمن، وهكذا، وإن كان على قَدَرٍ من التفاوت في بعض الأفكار السياسية بين هذه الأنظمة.

وقد قارب هذا الأمر أن ينحسر بعد سقوط الاتحاد السوفيتي أيام ميخائيل غورباتشوف، وسقوط سور برلين في سنة ١٩٨٩م، وتفكك الاتحاد السوفيتي، وسيطرة الفكر الرأسمالي، أو العلماني الغربي الذي تقوده أمريكا.

وتخلَّت كثيرٌ من الأنظمة عن هذا الفكر إلا بقايا هنا وهناك؛ كما في أمريكا اللاتينية، وخاصة في كوبا أيام فيدل كاسترو، وكذلك في فنزويلا، وفي الصين إلى الآن، وإن كانت تُحاولُ الصين المزج بين النظامين، وكذلك روسيا الاتحادية، التي هي وريثة الاتحاد السوفيتي، وبقي الأمر على هذا النحو، ولا ننسى كذلك كوريا الشمالية؛ فقد انحسر الأمر فيها إلا في نطاق ضيق.

ولكن في الآونة الأخيرة بدأ الأمر بالمعاودة، والعجيب أن تقوم بنشره بعض الدول الغربية التي كانت تحارب هذا الفكر من قبل، ومنها: أمريكا مثلاً، وبعض المؤسسات التي تدّعي أنها دينية، خاصة في بلاد الإسلام؛ فهناك منظمات دينية عالمية، كبعض مؤسسات التنصير، لكنّها وراء بعض الحركات الإلحادية في البلاد الإسلامية الآن؛ لأنّها تُريدُ قطع صلة المسلمين بدينهم الإسلام، ولو تخلوا عن الدين كله، وارتموا في أحضان الكفر والإلحاد والعباد بالله تعالى؛ وذلك تمهيداً للسيطرة عليهم، وهناك مطامع سياسية، واقتصادية، وغيرها؛ مما يتطلب منا الآن الحديث عن هذا الموضوع بكلّ قوة.

وبدأ الأمر ينتشر في الجزيرة العربية، التي هي مهد الإسلام، وكان هذا الفكر قبل سنين على ضعف وخَوَرِ أيام ظهور الحداثة من فكر أدونيس، ومنّ معه نهاية الستينات والسبعينات من القرن المنصرم.

• تأريخُ ظهورِ الإلحادِ في عمانَ خصوصاً:

بدأ ينتشر هذا الأمر في عمان، وتأثّر به بعض الشباب تأثراً بالآخرين؛ نتيجة البعثات التي كانت تُرسل من عمان، سواء أكانت البعثات التي تُرسلُ إلى العراق حينها، أو إلى سوريا، أو إلى مصر في بعض الأحيان، أو كانت عن طريق

الاحتكاك باليمن، الذي كان متأثراً بهذا الفكر، وأثر على بعض الشباب.

ونظرًا إلى الشعارات التي كانت تُنادي بها الحركات الشيوعية كانت شعارات مؤثرة جذابة؛ فهي تدعو إلى العدالة الاجتماعية، وإلى التخلص من الاستعمار، وتُزيّن للشباب أن الفردوس المنشود إنما يكون بتطبيق الشيوعية، أو في شقها الاقتصادي المعروف بضد الرأسمالية، وهو الفكر الاشتراكي، وكذلك فيما يتعلق بالأدب؛ انتشر لذلك الفكر الحداثي.

ولكن هذا الفكر سرعان ما قُضي عليه، وكان لشيخنا العلامة الخليلي - حفظه الله تعالى - مع مَنْ أعانه بتوفيق الله تعالى دورٌ كبيرٌ في القضاء على هذا الفكر؛ حتى أن هؤلاء كانت لهم مجلة تُسمى الغدير، وقد وصفها الشيخ - حفظه الله تعالى - بالغدير الجاف بعد أن قَطَعَ الله دابرها، وكان أتباعها ينشرون مقالاتهم فيها.

ثم جاء فكرٌ بعد ذلك يُحاول إحياء هذا الفكر المظموس؛ وذلك عن طريق ما يُعرف بالعقلانية، وبدأت تنتشر الآن، وأدى هذا الأمر إلى وقوع بعض أتباعه المسلمين، أو مَن ينتسب للمسلمين في الجزيرة العربية، وفي الخليج العربي إلى الوقوع في الإلحاد والعباد بالله، شيئًا فشيئًا؛ وذلك نتيجة التشكيك في

الحقائق الغيبية، والدينية بشكل عام، أو إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وخاصة نتيجة البعثات التي يُبعثُ إليها هؤلاء، خاصة إلى أمريكا؛ فهناك مَنْ يقوم باحتضانهم، ومحاولة التأثير عليهم.

• مِنْ جُهُودِ الْغَرَبِ فِي نَشْرِ الْإِلْحَادِ:

وَأَذْكُرُ أَنِّي فِي زِيَارَةٍ إِلَى أَمْرِيكَ التَّقِيَّةِ فِي مَرْكَزِ إِسْلَامِي بِأَحَدِ الْإِخْوَةِ الْمُسْلِمِينَ الْعَرَبِ مِنْ أَصْلِ شَامِي، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَالَ: مِنْ الْخَلِيجِ؟

قلت: نعم.

قال: أريدك في كلمة لو سمحت.

قلت له: تفضل.

فقال: رجاء لا ترسلوا أحدًا من الطلبة للدراسة هنا،

فتعجَّبْتُ!!

فقلت له: لماذا؟

فأخبرني - وذلك عن خبرةٍ منه - بأنَّه لاحظ أنَّ الطلبة الذين يُبْتَعَثُونَ خاصة من الخليج العربي أو الجزيرة العربية تُوجَّهُ إليهم جهود خاصة لتنصيرهم في بداية الأمر؛ وذلك عن طريق مصاحبتهم بدعوى تعليمهم الإنجليزية، وتبادل الثقافات،

وتعريفهم بالثقافة الغربية الأمريكية؛ فيصطحبونهم إلى الملاهي، والملاعب، وصالات الخمار والقمار، ونحو ذلك، فإن يسوا من تحويلهم إلى النصرانية شكَّكُوهم في الإسلام؛ حتى يُجرِّدُوهم من الدين، والأخلاق.

وقد لاحظ تأثر طائفة من الشباب، من ذكور وإناث بهذا الأمر، ولذلك أَسْرَ إليَّ بهذه النصيحة؛ فهذا كُلُّه يدعونا إلى أَنْ نَنْتَبِهَ إلى هذا الأمر.

وَأَذْكُرُ أَنَّهُ في البلد عندنا قبل سنوات، حينما كنت أُلقي درسًا في جامع السلطان قابوس بإبراء، أتاني بعد الدرس أحدُ الشباب.

قال: أريدك في كلمة خاصة، كما يقول العمانيون: كلمة راس. فإذا به يُخبرني عن أحد أقاربه، ولعله كان من إخوانه، من الطلبة الذين ذهبوا إلى أمريكا، ورجع مُلحدًا، والعياذ بالله.

وفي الأسبوع التالي، أو بعد أسبوعين، وبعد الدرس أيضًا أتاني غيره، وأخبرني نفس الأمر.

وكما نلاحظ الآن أيضًا فيما يُكْتَبُ في التويتر، أو في وسائل التواصل الاجتماعي بشكل عام من مواضيع تكشف لنا هذا الأمر. فهذا كُلُّه يدفعنا للتركيز على هذا الموضوع؛ لأنَّ الأمر خطير جدًا.

عِظْمُ خَطَرِ الإِلْحَادِ:

هؤلاء الذين يتساهلون مع الإلحاد لا يعرفون أثره كما ذكر شيخنا الخليلي، وغيره؛ فقد نَقَلَ سماحته عن الشيخ محمد الغزالي من كتابه الإسلام في وجه الزحف الأحمر الكثير من الفضائح التي ارتكبتها الشيوعيون حين تسلطوا في الأرض من مجازر.

وكذا نَقَلَ عن الأستاذ عبد الرحمن بن حسن حبْنكة الميداني في كتابه الكيد الأحمر الكثير من المواقف التي سجَّلها التاريخ، وما أُسِيلَ فيها من الدماء، وما هُتِكَ من الأعراض، وما انتُهِكَ من المقدسات.

مجزرة شعب الإيجور المسلمين:

ومن جملة ذلك ما حَدَّثَ في الصين أيام حكم الطاغية ماو تسي تونغ؛ حيث قَتَلَ ستة وعشرين مليون نسمة من شعب الإيجور المسلمين؛ بمجرد أنَّهم مسلمون، واعتبرهم أعداء للثورة، وأنَّهم لا يستحقون الحياة، وهذا الأمر مُقَنَّ في هذه الأنظمة، كما هو مذكور في أحد قرارات الاتحاد السوفيتي منذ أيام لينين، ثم أيام ستالين.

وأظن كما في المادة سبعة وخمسين، والمادة مئة واثنين وعشرين؛ حيث يُجَرَّمُ الانتماء لأيِّ دين، ويُعْتَبَرُ اقتناء أيِّ كتابٍ

مقدّس جريمة؛ وقُتِلَ بسبب ذلك الكثير من أئمة المساجد، ومن المسلمين الملتزمين بعبادتهم فيها، وهُدمَت المدارس، وهُجِّرَ المسلمون بالملايين إلى سيبيريا؛ حيث القطب المتجمد الشمالي، ومات الملايين من الناس جوعًا وعطشًا وبردًا، فضلًا عن الذين قُتِلُوا وهم يدافعون عن أوطانهم؛ حتى لا تتسلّط عليهم قُوَى الاتحاد السوفيتي إبّانها، وغيرها من القُوَى الظالمة، فهناك الكثير من المآسي.

حتى أن بعضهم حاول أن يحصر العدد الإجمالي؛ فذكر هيثم طلعت كما نَقَلَ عنه شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - حينما تحدّث عن التاريخ الأسود - كما يقال - للشيوعية في كتاب له: الإلحاد يسمم كل شيء بأن هؤلاء الضحايا وصلوا في القرن المنصرم إلى نحو مئة مليون نسمة على مستوى العالم!!

وعندما ذكّر شيخنا الخليلي هذا الرقم في مصرع الإلحاد قال: بأن الرقم قد يكون أكبر من ذلك بكثير.

• عاقبة التساهل مع هذا الفكر:

ماذا سيبقى إذا تُسهل مع مثل هذا الفكر؟!

بلا شك، لا تبقى نفوس، ولا تبقى أعراض، ولا تبقى

مقدسات، ولا يبقى شيءٌ للإنسانية، وإنما تسعى هذه الأفكار، وهذه الأنظمة التي تتبناها إلى محق الإنسان مطلقاً.

وبيلغ بها الأمر أن تفتك بنفسها؛ فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله، هكذا أتباع الشياطين؛ فستالين أصدر قراراً بتطهير الحزب، فقتضى على أقرب مقريه ممن كانوا أشد منه في الإلحاد والعياذ بالله، ولكنه كان يتوجس منهم خيفة؛ حتى لا يعارضوه السلطة، فأصبح يقضي عليهم، وهكذا الأنظمة؛ كما ذكر شيخنا الخليلي، يقول: كُنَّا نَتَابِعُهَا ونشعر بهذا حين يأتي حزب، أو فئة؛ لتقضي على مَنْ تَقَدَّمَهَا، وهكذا كلُّ فصيلٍ يحاول الإطاحة بغيره، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَظْمِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، فنسأل الله العافية.

وللأسف هناك مَنْ يحاول التساهل مع هؤلاء بدعوى الحرية، وهذا فكرٌ خطير جداً؛ لأنه يعني: فقد الغيرة على الدين، والانسلاخ من الحياء، والتهاون والتحقيق لما عَظَّمَهُ اللهُ تعالى؛ لأنَّ الله تعالى عَظَّمَ شعائره فقال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

لكن أنصار هذا الفكر الذين يدعون المَدَنِيَّةَ، والتَّطَوُّرَ، والانفتاح، والتسامح لا يُبَالُونَ أَنْ يُقَدَّحَ في الذاتِ العليَّةِ، وأن تُنتَهَكَ حرمة رسول الله ﷺ، وأن يُدَنَسَ القرآن، ويريدون إضفاء

الشرعية على مَنْ يفعل ذلك باسم الحرية، وتعدد الآراء، وحرية التعبير.

ولكن هل يرضى أحدهم إذا انتُهكت حرمة؟!

هل يرضى أن تُستَم أمه وأبوه؟!

هل يرضى أو يسكت إذا اعتدي على وطنه؟!

هل يرضى إذا اعتدي على رأس السلطة التي ينتمي إليها؟

من سلطان، أو ملك، أو أمير، أو رئيس، أو غير ذلك؟!

إنه لا يرضى بذلك.

فلماذا يرضى إذن أن تُنتهك حرمة الله تعالى؟! أو يُسخر من

أحكامه، ويُستهزأ بها؟!

فهذا الضعف والخَوَر من أسباب انتشار هذا الفكر،

واستقواء أهله، وبعد ذلك لا يلومَنَّ أحدٌ إلا نفسه حين يطغى

عليهم هذا الفكر.

وقد ذَكَرَ شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - قصة بعض

الناس ممن التقى بهم، وذَكَرَ ذلك في كتابه مصرع الإلحاد: أن

ذلك الشخص كان يُنادي بإشاعة هذا الفكر، وكان مُتحمسًا جدًا

لذلك، وهذا إبان شبابه، ولكن بعد أن حَدَثَ ما حَدَثَ في

بعض البلاد الأخرى تراجع عن هذا الأمر، وحمد الله وَبَكَى أن

هذا الفكر لم ينتشر، وإلا لسالت الدماء أنهاراً؛ لأن هؤلاء متعطشون للدماء بشكل لا يُتصَوَّرُ، فآلتهم القمع والإرهاب، ولا يُبَالُونَ بحرمة الإنسان.

كما نَقَلَ شيخنا الخليلي - عن هيثم طلعت - في كتابه مصرع الإلحاد؛ عندما تحدّث عن شي جيفارا الذي أسّس هذا الفكر، ونَشَرَهُ في أمريكا الجنوبية، وهو أرجنتيني الأصل، ولكنه قاتل مع الجيش الكوبي، وأسّس الدولة الشيوعيّة في كوبا حتى تولّى الأمر فليل كاسترو، وتولّى هو بعض المناصب.

ثمّ تولّى ذلك كله، وأصبح ينتقل من بلد إلى بلد؛ للقتال في صفوف أتباع هذا الفكر الشيوعي، ويُقال: إنه كان في الجزائر، ووصل به الأمر إلى أوغندا، وكان بصحبة اثني عشر من أصحابه، فَقَتَلَ ستة منهم، ثم هرب من هناك، واعترف بأنّ الأوغنديين أفسلوا الثورة، وهرب بمن معه.

• أعظم ذنب وأعظم معصية:

وقد اعترف هؤلاء بتعطشهم للدماء، وعلى عدم مبالاتهم بحرمة الإنسان؛ وهذا الأمر يدفعنا إلى أن نواجه هذا الفكر بكلّ قوة، فضلاً عن كونه معصية لله تعالى، وفضلاً عن كونه أعظم ذنب، فإنّ أعظم ذنب هو الكفر بالله ﷻ، وتَوَعَّدَ الله تعالى أهله

بالعذاب الويل في الدنيا والآخرة؛ فقد قال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]، وقال: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وحينما جعل النصارى المسيح عيسى ابن مريم ابناً لله تعالى، واتخذوه شريكاً، وجعلوا أمه أيضاً كذلك ردَّ الله تعالى عليهم ردّاً شديداً؛ فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۖ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۖ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يُبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ﴾ [٢٣] ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۚ﴾ [٢٤] ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۚ﴾ [مريم: ٨٩ - ٩٥].

فَلَيْتَ كَانَ هَذَا شَأْنٌ مِنْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى شَرِيكًا، أَوْ اتَّخَذَ لَهُ وَلَدًا، فَمَا شَأْنُ مَنْ يُنْكِرُ وجوده ﷻ مطلقاً؟! إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَظِيمٌ، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

والله تعالى قد ذَكَرَ في كتابه أَنَّهُ أَهْلَكَ أَقْوَامًا؛ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِرُسُلِهِمْ، أَوْ كَذَّبُوا بِاليَوْمِ الْآخِرِ، أَوْ شَكُّوا فِي وجودِ اللَّهِ، أَوْ أَنْكَرُوا شَيْئًا مِمَّا كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ فِي الْمَجْتَمَعِ، أَوْ أَنَّهُمْ مَارَسُوا الرَّذِيلَةَ؛ فَأَهْلَكَهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ أَثَرٌ، فَمَاذَا يَتَصَوَّرُ

هؤلاء الذي يُعلنون الكفر الصريح والعياذ بالله تعالى، ويتجاوزون حدود الله؟! فهؤلاء إنما يستنزلون غضب الله تعالى وسخطه، والله تعالى يقول: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾ [الأنفال: ٢٥].

فمن هنا أُعلنُ براءتي من هؤلاء، وهكذا يصنع كل مسلم؛ حتى لا يكون في ركاب الظالمين وأعوانهم، ونسأل الله تعالى أن يُسَلِّمَنَا من شرورهم.



المحور الأول: أسباب الوقوع في الإلحاد



ذُكِرَ أسباب الوقوع في الإلحاد لا نعني بها أبداً تسويغ الإلحاد، أي: تسويغ الوقوع فيه؛ فإنه لا يُعذَر الإنسان أبداً في الكفر بالله تعالى؛ سواء أكان تكذيباً، أو شكاً، أو جهلاً بعد قيام الحجة بذلك طرفة عين، فهذا ضلالٌ كبيرٌ.

وإنما نذكر هذه الأسباب؛ لأن النفس الأمارة بالسوء تتخذها مطية لإيقاع صاحبها فيه، أو أن الشيطان يتخذها منفذاً للولوج إلى أصحاب هذا المرض والعياذ بالله تعالى؛ فيكفرون بالله جَلَّ وَعَلَا.

فكأنها ظروفٌ محيطَةٌ، أو أسبابٌ داخليةٌ، أو أهدافٌ بعيدةٌ، إلا أنها كلها تدفع بعض ضعفاء النفوس للوقوع في الإلحاد والعياذ بالله تعالى.

تماماً مثل ما يُحدِثُهُ التبرج والعياذ بالله؛ فهو يدفع بعض ضعفاء النفوس؛ للاعتداء على النساء المتبرجات، أو الزنا بهن، فهذا الزاني لا يُعذَر والعياذ بالله تعالى؛ لأنه يفعل ذلك عن إرادته، ولكن لا شك أن التَّبَرُّج كان من ضمن أسباب التهييج، التي دفعته للقيام بجريمته.

وهكذا مثلاً الغضب، أو الرغبة في الانتقام؛ فقد يدفع صاحبه لقتل مَنْ أساء إليه، أو تَسَبَّب في غضبه، ولكن مع ذلك لا يُعَذَّرُ فاعل ذلك من العقاب المادي والمعنوي.

وهكذا الشأن في المال السائب؛ فكما يُقال: أَنَّهُ يُعَلَّمُ السَّرَقَةُ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي إِباحَةَ أَنْ تَمْتَدَّ يَدُ أَحَدٍ إِلَى مَالٍ غَيْرِهِ، وهو يعلم ذلك؛ لأخذه بدون إذن صاحبه، ولكن هذا المال المعروض من غير حرز قد يُهَيِّجُ بعض النفوس المريضة للقيام بجرائمهم.

ولذلك نحن هنا نذكر الأسباب التي قد تؤدِّي، ويتَّخذها البعض مطيةً للوقوع في هذا الخطر العظيم والعياذ بالله، وهي كما يلي:

السبب الأول: الغرورُ:

فكثيرٌ ممَّن يقعون في الإلحاد إنما يقعون فيه بسبب الغرور والإعجاب بالنفس والعياذ بالله، وهذا مرضٌ خطيرٌ يؤدِّي إلى معاصٍ كثيرة لا تكاد أن تقف عند حد؛ لأنَّ صاحبها يستعظم النعمة، ويدفعه ذلك إلى إنكار فضل المنعم بها، أو نسيان حق المنعم بها، وهو المولى ﷻ.

والغرور على أنواع كثيرة، وله أسباب كثيرة؛ فقد يكون في العبادة، وقد يكون في العلم، وقد يكون في المال، وقد يكون في

النسب، وقد يكون في الجمال، وقد يكون في قوة البدن، وقد يكون في كثرة الأنباع، وقد يكون في المُلْك، أو في الرأي، وغير ذلك من الأسباب الأخرى.

وقَدْ تَوَعَّدَ الله هؤلاء بالعذاب الويل في كتابه العزيز، مما لا مجال لذكره الآن.

فبعض مَنْ وقع في الإعجاب بنفسه وبرأيه اعتَبَرَ رأيه مُقَدِّمًا على كتاب الله وعلى الوحي، أو على رسوله ﷺ؛ فيرى أنَّ هذا العصر مثلاً لا يُنَاسِبُهُ تطبيقُ الحدود الشرعية، أو أنَّ النظام المعاصر الآن لا يقبل تحريم الربا؛ لأنَّه أصبح ضرورةً يقوم عليها الاقتصاد العالمي.

ويرى أنَّ العلاقات الاجتماعية يجب أن يكون فيها انفتاح وحرية، فلا مانع من ممارسة العلاقات الجنسية بين غير المتزوجين؛ لأنَّ ذلك يُوَدِّي إلى تهذيب الغريزة الجنسية، فيُقَدِّمُ رأيه الذي هو عبارة عن هوى - والعياذ بالله تعالى - على أحكام الله ﷻ، وعلى الأحكام التي جاء بها الرسول ﷺ مما ثبت قطعاً بالدليل؛ فهذا من الغرور.

وبعض الناس وقَّعوا في الإلحاد أيضاً بسبب اغترارهم بالدنيا، وميلهم إليها، وركونهم إلى شهواتها، وكأنهم مُخَلَّدُونَ فيها؛ فبسبب ذلك مضوا في شهواتهم، ودفعهم ذلك إلى إنكار حقوق الآخرين، أو الاعتداء على أعراضهم.

ليس بمجرد فعل، بل بتبني فكرة يؤدي إلى إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وليس بمجرد انتهاك - مع أن الانتهاك عظيم، وهو كبيرة من الكبائر -، وإنما انتهاك مع اعتراف بحرمة ذلك الشيء فيما يُعرف في العرف الشرعي بالمُحرّم.

فهؤلاء يستحلّون ذلك دون أن يكون لهم تأويل، فيعتبرون الربا فائدة؛ لجمع المال، ويعتبرون الزنا حبًّا؛ لأجل تحقيق مآربهم في الشهوات الجنسية، ويعتبرون الخمر مشروبات روحية؛ لأجل الاستمتاع، والترويح عن النفس، وربما استحلّوا المخدرات أيضًا، وهكذا، فميلهم إلى الدنيا، وحطامها دفعهم إلى الإلحاد.

وربما يغترُّ البعض بسلطته وقوته فيقع في الإلحاد؛ كما يُذكر عن بعض من أذى الدعاة والمصلحين فيما يذكرونه في مذكراتهم، حينما دوّنوا بعض معاناتهم في السجون إبّان الأحكام الجائرة الظالمة، التي حَكَمَ بها عليهم القائمون على السلطة حينها في بلدانهم، ممن ينتمون إلى هذا الفكر الشيوعي، فكان بعضهم بسبب نشوته في السلطة، أو تسلطه، وكأنّه بلغ حدًا يتصور نفسه إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون!! وليس هناك من يمنعه.

فأدّى به الأمر إلى أن يقول للسجين من الدعاة، أو العلماء: ائتِ بالله الذي تعبد، أو تحتمي إليه أضعه في السجن، أو الزنانة هنا!!

إلى هذا الحد بلغ ببعضهم الوقاحة، وهم في الأصل بأسماء إسلامية، ولكن السلطة والغرور دفعتهم إلى ذلك؛ حتى يتمردوا على كتاب الله تعالى، وينتهكوا المقدسات؛ فالغرور من أكبر أسباب الوقوع في الإلحاد بأي صورة كانت.

السبب الثاني: الجهل:

سواء كان جهلاً بحقيقة الدين الذي أنزله الله تعالى، أو كان جهلاً بمآلات الفكر الشيوعي نفسه؛ فربما بسبب تشويه صورة الدين من قبل بعض وسائل الإعلام، أو بسبب المتزينين بالدين - وهم ليسوا كذلك في الحقيقة - يتأثر بهم بعض الناس الذين لا علم لهم بشرع الله تعالى، أي: بحقيقة الدين، فيقولون: إن كان الدين بهذه الصورة فنحن لا نريد شيئاً من هذا الدين، أو يُعلنوا الكفر بالله ﷻ.

وفعلًا هذا واقع؛ فلقد التقيت ببعض الشباب من سوريا، وبعضهم من العراق، وكان ذلك في تركيا في إحدى الزيارات، وكل واحدٍ منهم منفردًا أخبرني بهذه التجربة؛ وذلك بسبب ما يقع لديهم منذ سنين، من تظاهر بعض الناس بالتدين، وهم يُفَجِّرُونَ المساجد، أو الناس في المجتمع، ويعتبرون ذلك قُوَّةً إلى الله تعالى؛ لأنَّهم يُكْفِّرُونَ المجتمع بسبب أنه لم يتَّبع الفكر الذي هم عليه، فَشَوَّهُوا الدِّينَ بتصرفاتهم، وهم مع ذلك ربما يخطبون في المساجد، ويأثِّمون الناس في الصلاة؛ فيقع الناس العوام في اضطراب شديد.

فهم من جهة يتصوِّرون الدِّينَ على غير هذا النحو، ولكن ليس لديهم علمٌ حقيقي بالدِّينِ، وأولئك الذين يمسكون بزمام الأمر خطباء، وأئمة، ويقومون بنشر هذه الأفكار، وتسويغها؛ فأصيبوا بانفصام شديد، فاندفعوا إلى إنكار الدِّينِ، أو الكفر بالله تعالى، ولكن أثوا أيضًا من قبل جهلهم، وقد يكون الأمر - كما قلت - بسبب الجهل بمآلات الفكر الشيوعي هذا.

والإلحاد كما ذكر شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - عن بعض الناس الذين كانوا يؤيِّدون الفكر الشيوعي الإلحادي، أو الحركة الشيوعيَّة: أنَّهم كانوا يتصوِّرونه الفردوس المفقود قبل أنْ تنكشف لهم الحقيقة، ثم حمدوا الله تعالى بعد ذلك أن لم تنتشر هذه الأفكار، خاصة بعدما رأوا ما حَدَثَ في بلدان كثيرة؛ من سيلان الدماء، وانتهاك الأعراض، وظهور الفتن، والحروب الأهلية، وانتشار الفقر، على خلاف ما كان يُدَّعى.

وقد يكون الجهل أيضًا بآيات الله تعالى؛ فالبعض من الناس لا يفتح عينيه على آيات الله تعالى في نفسه، وفي الآفاق، فلا يُبَصِّرُ هذه الآيات كي تدخل إلى قلبه؛ فيؤمن بالله تعالى، ويعظِّمه، ويؤخِّده، ويحبه، ويشكره على نعمائه، ويندفع إلى عبادته ﷻ، فهو للأسف الشديد يجهل هذه الآيات، أو يتجاهلها

مع وضوحها، مع أن الله تعالى قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال: ﴿قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].

وقال سبحانه: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال جلَّ جلاله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

لكن ماذا تصنع بأناسٍ ضُْمَّ بكم عمي فهم لا يعقلون، أو صُمَّ بكم عمي فهم لا يرجعون، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْأَبْكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَقِيلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فهؤلاء الذين غفلوا عن هذه الآيات وقعوا في هذا الأمر والعياذ بالله، وتَنَاسَّفَ لبعض الناس الذين لديهم العقول الكبيرة الواسعة فيما يتعلق بالعلوم التجريبية، ولكنهم مع ذلك يرتضون أن يقعوا في براثن الإلحاد والعياذ بالله، ويكرعوا من مستنفعاته، أما كان لهم آية في تخصصاتهم؛ فيدفعهم علمهم إلى الإيمان بالله تعالى كما صنع غيرهم؟!

وقد نَقَلَ شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - من كتاب الله يتجلى في عصر العلم، وشمس الإسلام تشرق من الغرب من جديد في كتابه برهان الحق الكثير من الشهادات العلمية لأصحاب التخصصات المختلفة، ومن خلال تخصصاتهم يُثْبِتُونَ وجود الله تعالى، وعظمته، ويعلن طائفة منهم إيمانهم بالله ﷻ، عن تذلل وانكسار لله الخالق العظيم.

وكذلك أيضًا البعض بسبب جهله بالتأريخ وعبره يقع في مثل هذا المحذور، ويقع في الإلحاد والعياذ بالله حين يغتر، أو لا يَقْدِرُ الأمور قدرها، أو يتصوّر أن الله تعالى لا يُعَذِّبُهُ، أو لا يهلكه؛ فيغتر بحلم الله ﷻ مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

فيرتكب المعاصي التي هي بريد الكفر، وربما يرتكب الإلحاد نفسه، وكأنه ينتظر أن تنزل عليه صاعقة، وهو أحمق، ولو نزلت عليه صاعقة لما قام بعدها، ولكنه يغتر بحلم الله تعالى، مع أن الله تعالى يريد بالعباد خيرًا؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

وقد يُنْزَلُ عليهم عذابًا من عنده يتألمون بسببه، ولكن هذا العذاب منظور على نعمة وخير، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فيؤمن الناس العقلاء بالله ﷻ، ويرجعون

عن غيهم، ويثوبون إلى رشدهم، ومن نجى منهم يعتبر بمصير الهالكين.

ولكن البعض للأسف لا يزالون يُصِرُّون على باطلهم وظلمهم، فينزل عليه عقاب الله تعالى بعد ذلك، وربما يندموا ولات ساعة مندم؛ كما صنع فرعون حيث قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَآمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَآمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝﴾ ءَأَكْفَرُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠١﴾ فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدُنَا لِنَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿١٠٢﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢].

السبب الثالث: كسر النعمة:

فبعض الناس لا يشكرون نعمة الله تعالى، وحين يُبْتَلَوْنَ لا يصبرون على الابتلاء، وقد يُبْتَلَوْنَ بأشياء كثيرة؛ منها الفقر، ومنها المرض، ومنها فقد الأحبة بأي وجه من الوجوه، فلا يصبرون، ويبلغ بهم الأمر إلى الوقوع في الإلحاد والعياذ بالله تعالى.

وقد ذكّر شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - عن بعض الكتّاب الغربيين، وهو بول فيتز، حينما تكلم عن الأسباب النفسية التي تدعو إلى الإلحاد: أنه أثبت بالدراسات أن كثيراً من رموز الإلحاد كانوا منطوين على أمراض نفسية، وأن حياتهم

الاجتماعية التي عاشوها كانت من ضمن المؤثرات الكبيرة لتحولهم إلى هذا الفكر الإلحادي، وإن كانوا من قبل نشأوا على الديانة اليهودية، أو النصرانية، أو على الأقل كانوا يعترفون بوجود إله وخالق لهذا الكون.

ولكن بسبب الحرمان، وبسبب سوء المعاملة من قبل الوالدين، أو أحدهما، أو بسبب الفقر، أو بسبب المرض، أو العاهة التي أصيبت بها بعضهم وقعوا والعياذ بالله في القنوط، وكانهم يريدون - وأستغفر الله - معاقبة هذا الإله بإنكار وجوده، أو التمرد عليه، وإعلان مخالفته، أو أنهم ينضمُّون إلى أعدائه من الشياطين، وهم رضوا لأنفسهم هذه المتزلة، ولم يتحمَّلوا شدة البلاء الذي أنزله الله تعالى؛ لحكمة يعلمها ﷻ؛ ليميز الخبيث من الطيب.

وَذَكَرَ طائفةً من الأسماء، ورموز هذا الفكر الذين كانوا على هذا النحو؛ من أمثال: بول سارتر، وبرنتات رسل، وبلوتير، وغيرهم.

السبب الرابع: كيدُ الأعداء:

وهذا الأمر ليس وليد الساعة، وإنما يسعى إليه الأعداء، خاصة في الأمة الإسلامية؛ فمنذ ظهور الإسلام هم يكيدون لهم، فقد كَادَ له الوثنيون من عرب قريش، وكَادَ له اليهود، وكَادَ له النصاري، واستمر هذا الأمر إلى يومنا هذا، ولا يزال.

وهذه سُنَّةُ الله تعالى في خلقه؛ أن جعل الصراع بين الحق والباطل مستمرًا إلى أن تقوم الساعة، وفي هذا ما يدفع المؤمنين إلى التمسُّك بدينهم، وإلى مُنَاوَاةِ هؤلاء المجرمين؛ فَوَرَاءَ هذا الكيد دُؤْلٌ، وليس الأمر سرًّا؛ فهناك أنظمةٌ تقوم بذلك، وهناك جمعياتٌ تقوم بذلك، وهناك أفرادٌ معروفة أيضًا من الدول التي تقوم بذلك، من نحو: الاتحاد السوفيتي، وكانت تمد المتأثرين بالفكر الشيوعي بالمال، والسلاح، والخبرة.

وقد ذَكَرَ شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - لقاءه لبعض الإخوة من اليمن، حين زار اليمن عام ١٤٢٣هـ، ذكر أن هؤلاء أخبروه كثيرًا عن تاريخ الشيوعية، أو الماركسية في اليمن، وعن دورها في اضطهاد الناس، وأنَّ الناس كانوا يُؤْخَذُونَ بعدما يخرجون من المساجد، بعد أن يُصَلُّوا لله تعالى؛ ليربطوا بالحبال إلى سيارات، ثمَّ يُجَرَّون في تلك الوديان؛ ليرتطموا بالحجارة، والصخور، والأتربة!!

هكذا رؤوسهم تتدحرج يمناً ويسرة، تسحبها السيارات، ويتبعهم الجنود؛ ليضربوهم على رؤوسهم بأعقاب بنادقهم؛ حتى يلفظوا أنفاسهم الأخيرة، لمجرد أنَّهم أدوا الصلاة في المسجد.

ويذكرون أنَّ وراء هؤلاء مستشارين من الاتحاد السوفيتي، ومن كوبا، ومن غيرها يمدونهم بأرائهم في عدن، وفي غيرها، وكانوا يتولَّون تنظيم شؤون الدولة، وتنظيم الجيش، ولا يصدرن

في أمرٍ إلّا عن رأيهم، ومشورتهم، وإذنههم؛ بسبب التبعية المطلقة لهم، والولاء الأعمى.

وهذا ليس سرّاً؛ لأنّهم كانوا يمدون الثورة في الجزائر أيضاً، وفي غيرها من البلاد العربية والإسلامية، وما زالوا ينشرون الإلحاد إلى يومنا هذا، وذلك بصورٍ كثيرة، وإن انطوت حقبة الاتحاد السوفيتي.

والبلاد الغربية تتولّى هذا الأمر الآن، ولكن ليس باسم الإلحاد، وإنما باسم العلمانيّة، وبأسماء أخرى برّاقة؛ كالحرية، ونحوها، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

وكذلك هناك المنظمات الماسونية العالمية، والصهيونية، التي وراء هذا الشر؛ وذلك لأجل قطع صلة المسلمين بالإسلام، ولأجل تدمير أخلاق المسلمين، ولأجل تفريق شملهم، ولأجل إضعافهم سياسيّاً، واقتصاديّاً، واجتماعيّاً، وعلميّاً، وثقافيّاً، وحضاريّاً بشكل عام؛ تمهيداً للاستيلاء على فلسطين كلها، وبناء دولتهم، وإقامة هيكلهم المزعوم، ونحو ذلك من الأمور.

كما يُعلّم ذلك ممّا نُشرَ فيما يُعرَفُ ببروتوكولات حكماء صهيون، وكما صرّحوا ببعض هذه الأهداف في مؤتمر بال بسويسرا، الذي عُقِدَ سنة ١٨٩٧م بقيادة تيودور هرتزل اليهودي النمساوي، وهناك اتفقوا على إقامة الدولة الصهيونية في فلسطين بعد ٥٠ خمسين عاماً، فأشسوها سنة ١٩٤٧م، فهؤلاء يمشون على مخططهم، ولم يتوقفوا؛ ولذلك تولّوا نشر الفكر الدارويني.

وقد صرّح غير واحد من الباحثين بأنّ الماسونية العالمية تَوَلَّتْ نشر فكر داروين في قضية النشوء والارتقاء؛ باعتبار أصل الإنسان قرّداً، أي: حيواناً؛ لأنّ الحيوان غير محاسب، ولأنّ الحيوان يغلب عليه طبع الشهوة الجنسية، وشهوة الغضب، والاستمتاع بهذه الحياة الدنيا دون قيود.

فيريدون أن يغرسوا هذه الفكرة في الناس؛ ليفعل الإنسان ما يريد، ولأجل التمييز، ونشر فكر الطبقة بين شعوب العالم؛ لسد ما يُعرَفُ بالانتخاب الطبيعي أو التطور، أي: الفكرة التي يقول بها داروين؛ ليعتبروا أنفسهم هم الأرقى.

وهذا ما اعتمد عليه موسوليني في الفكر الفاشي في إيطاليا، وكذلك أدولف هتلر في الفكر النازي في ألمانيا، وغير هؤلاء اعتمدوا على هذه النظرية كذلك؛ للقضاء على غيرهم من بني البشر، وأنهم لا يستحقّون الحياة.

فإذن هؤلاء يفعلون، ويتحرّكون، وكذلك المنظمات التنصيرية تتظاهر أمام العالم بأنّها تود المشاركة في مؤتمرات لحوار الأديان، والتسامح، وكذا، ولست أقول: بأنّ كل النصارى يفعلون هذا، ولكن مما هو معلوم تورط طائفة من المنظمات التنصيرية على مستوى العالم بذلك، ولها جهود خطيرة جدّاً من وراء الستار؛ لأجل نشر الإلحاد في البلاد الإسلامية، ولأجل التّشكيك في الدّين.

والتركيزُ الآن حاصلٌ في الجزيرة العربية، وفي بلاد الخليج العربي؛ لأنها مهد الإسلام، ولأجل مصالح أخرى سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وحضارية، بشكل عام، وهذا أمرٌ معروفٌ لمن دَرَسَهُ.

وقد بحث الكاتب الدكتور سليمان الحسيني الحملات التنصيرية في كتابه الحملات التنصيرية إلى عُمان هذا الأمر، وأدرك بالوقائع، والوثائق جهود هؤلاء في منطقة نائية في الجزيرة العربية، وهي عمان، ومع أنَّهم لم ينجحوا إلا أنَّهم لم يستسلموا أيضًا.

وأحد قادتهم الكبار، وهو زويمر، الذي كان يتولى رئاسة الحملات التنصيرية في القرن الميلادي المنصرم، أو القرن الهجري المنصرم كان يُصَرِّحُ بهذا، بأنه: ليس من هدف المستنصرين إدخال مسلم في النصرانية؛ فإنَّ في ذلك تشريفًا له وتكريمًا، وإنما هو في إخراج المسلم من إسلامه؛ فيترتب على ذلك قطع صلته بالأخلاق، التي تقوم عليها الحضارة؛ إذ إنَّه يكون مخلوقًا لا صلة له بالله تعالى.

فهذا ما يقوله زويمر، وهذا ما يسعون إليه الآن، ولهم حَزَاكٌ كبير للأسف الشديد في الجامعات، والكليات، والمدارس، ولهم وسائل مختلفة أيضًا.

وكذلك البوذية تتحرك الآن؛ لنشر أفكارها الوثنية، وهذا إلحادٌ بلا شك؛ وذلك عن طريق نشر الفكر النَّبَّاتي، ونشر الفكر الروحي والطاقي، ولكن بمسمّياتٍ مختلفة.

طبعاً لَسْتُ ضِدَّ استعمال المرءِ جُميَّةٍ نباتية في فترة من الفترات؛ فهذا قد يكون صحيحاً تارة، ولكن مع عدم تحريم ما أحلَّ الله من أكل ذوات اللحوم من الأنعام، فهؤلاء ينشرون فكرهم الآن، ولا يقتصرون على بلاد الإسلام؛ فهذا الفكر أصبح شائعاً في أمريكا، وأوروبا، وأصبح يغزو تلك البلاد، ويشتكي منه النصارى المتديُّنون.

وقد بدأ يسري في بلاد الإسلام تحت أسماء برّاقة، فنحن وإن كُنَّا مع الفكر الروحي والطاقي من جهة معينة بِقَدَرٍ؛ لأنَّ هذه حقيقة قائمة على فكر متوازن في ذلك، فلا إفراط ولا تفريط، ولكن نقول: يجب الحذر أيضاً؛ لأنَّ هناك بعض الممارسات تنطوي على شرك بالله ﷻ، وقد تخفى على بعض مَنْ أخذ يدخل في هذه البرامج، أو الدورات دون أن يدري، وفيه تعاملٌ مع الشياطين، وعبادة للشيطان، وعبادة للشمس والعياذ بالله تعالى.

وكذلك الفكر الهندوسي حيث برز بقوة الآن، وذلك فيما يحدث من تعصُّبٍ هندوسي في الهند، وظهور بعض الأحزاب

اليمنية، والتي وصلت إلى السلطة، ولديها أفكار متطرفة ضد الإسلام، وتقوم بممارسات قمعية ضد المسلمين، وقصة مسجد بابري، وانتهاك حرمة، والاستيلاء عليه، ومحاولة هدمه، وبعد ذلك عن طريق المحكمة.

والآن ظهرت هذه الحقائق، فضلاً عن قانون الجنسية الذي تظاهر ضده المسلمون، ورأوا أبعاده الخطيرة من تجريدهم من الجنسية المحلية في بلادهم؛ تمهيداً لطردهم، واعتبارهم غير مواطنين؛ لتخلو البلاد للهندوس.

فهذه ممارسات خطيرة جداً، وهناك تعاونٌ بين أصحاب الأفكار الهندوسية، والماسونية والصهيونية العالمية، والمؤسسات التنصيرية، وكل ذلك لمحاربة الإسلام، وإن كانوا يُغطُّون بعض تصرفاتهم بمحاربة الإرهاب؛ فالمسألة خطيرة جداً.

وكذلك كيد بعض الأفراد أنفسهم، فلا يلزم هؤلاء أن يتحرَّكوا في مؤسسات، مع أن حركتهم مؤسسية كما هو معلوم، إما عن طريق دول، أو منظمات بأشكالها المختلفة، سواء حملة الوجهة الخيرية كما يقولون، من مؤسسات للأعمال التطوعية، أو لمساعدة الفقراء، أو لأجل علاج المرضى، أو مؤسسات تأخذ الطابع العالمي الإنساني، أو غير ذلك.

لكن البعض منهم يتحرَّك فرداً، وليس أمره بيسير، بل هو خطير.

وَأَذْكُرُ أَنَّنِي قَبْلَ سَنِينَ ذَهَبْتُ إِلَى دَوْلَةِ بُورُونْدِي، وَهَذِهِ
الْبِلَادُ الْأَفْرِيقِيَّةُ كَانَ أَهْلِي بَعْدَمَا خَرَجُوا مِنْ عُمانَ هَاجَرُوا إِلَيْهَا،
وَسَكَنُوا فِيهَا سَنِينَ طَوِيلَةً، ثُمَّ رَجَعَ أَكْثَرُهُمُ الْآنَ إِلَى عَمَانَ الْبِلَدِ
الْأُمِّ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

فَذَهَبْتُ لَزِيَارَةِ تِلْكَ الْبِلَدَةِ - الَّتِي وُلِدْتُ فِيهَا - قَبْلَ سَنِينَ
طَوِيلَةٍ، وَكَانَ ذَلِكَ بِرَفَقَةِ الْوَالِدَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ، فَقُمْتُ فِي الْبَيْتِ،
وَذَهَبْنَا إِلَى زِيَارَةِ إِحْدَى الْقُرَى؛ وَلَأنَّهُمَا زَارَاهَا قَبْلَ التَّحَاقِّي بِهِمْ
فِي تِلْكَ الرِّحْلَةِ، فَسَأَلْتُهُمَا عَمَّا شَاهَدَاهُ؟

فَأَخْبَرَانِي: أَنَّهُمَا التَّقِيَا بِالْقِسْيسِ الَّذِي كَانَ فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ
النَّائِيَةِ فِي الْأَدْغَالِ، وَقَدْ عَرَفَاهُ، وَعَرَفَهُمَا، وَذَكَرَهُمَا بِاسْمِهِمَا.

وَقَالَ لَهُمَا: فُلَانٌ وَفُلَانَةٌ؟!!

فَقَالَا: أَنْتَ مَوْجُودٌ إِلَى الْآنِ.

قَالَ لَهُمَا: نَعَمْ.

فَقَدْ صَارَ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهُوَ قَسِيسٌ
إِيطَالِي، تَرَكَ إِيطَالِيَا؛ حَيْثُ الْمَدَنِيَّةُ، وَالرَّاحَةُ، وَالْمَالُ، وَالْأَهْلُ،
وَالْوَلَدُ، وَجَاءَ يَسْكُنُ فِي تِلْكَ الْأَدْغَالِ؛ لِيَنْشُرَ النِّصْرَانِيَّةَ!! فَانْظُرُوا
إِلَى تِلْكَ الْجُهُودِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا هَؤُلَاءِ.

وَهَؤُلَاءِ لَا تَقْتَصِرُ دَعْوَتَهُمْ عَلَى الْوُثْنِيِّينَ الْمَوْجُودِينَ فِي تِلْكَ
الْبِلَادِ؛ وَإِنَّمَا يُرَكِّزُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ
مَا يُسَمُّونَهُ بِالْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ.

وقد رَأَيْتُ بعيني ذلك بعدما قَطَعْنَا في رحلةٍ من الرحلات ساعاتٍ في طريق الغابة، رأيتُ بعيني رأسي مؤسسةً ضخمةً بين بيوتٍ لأقوامٍ يعيشون فيها، وهي مبنية من الطين، ومغطاة بالسعف، وبالكاد كما يُقَالُ: تتسع لبعض الأفراد، عبارة عن غرفة واحدة فقط، لكن بين تلك البيوت الضعيفة المُهترئة القديمة مبانٍ ضخمة، فإذا بها عليها شعار النصرانية، وعليها الصليب، وفيها مشفى راقٍ، وفيها مدرسة نظامية عصرية، وفيها مصنع للعمل.

هكذا يجمعون بين هذه الأشياء الثلاثة: يوفِّرون المدرسة؛ للتعليم، ويوفِّرون المشفى؛ للعلاج، ويوفِّرون مكان العمل؛ لأجل توفير القوت لهؤلاء، ولديهم محل تجاري في بعض الأحيان؛ لإعطاء خُصوم، أو تسهيلات مادية لمن يتَّبِع فكرتهم، فيُعْطَى بطاقة خاصة إن كان نصرانيًا؛ وذلك حتى يُعَامَلَ معاملة خاصة، أمّا المسلم لو دخل هذه المؤسسات فإنه لا يُعَامَلُ كذلك.

ولأنَّ الناس فقراء يرضون أن يفعلوا هذا، ولو لم يقتنعوا في الباطن، وأولئك المُنْصَرِّون يعلمون أنهم لم يقتنعوا، ولكنهم ينظرون إلى الأجيال التالية، فحينما ينشأ هؤلاء الكبار على الذهاب إلى الكنيسة، ويأتون بأطفالهم معهم، فهم يتولَّون تربية أولئك الأطفال منذ الصغر على هذه الأفكار، ثم بعد ذلك يرسلونهم إلى أوروبا؛ لمزيدٍ من التعلم، والتربية؛ ليرجعوا بعد

ليكونوا متمكنين في تلك البلاد، فينالوا المناصب دون غيرهم من المواطنين المسلمين، الذين يكونون غير مؤهلين أصلاً للقيادة، وتولي المسؤوليات العامة.

السبب الخامس: الإغراق في المادية:

وللأسف الشديد بعض الناس يعبدون الدنيا، ويعبدون الشهوات، وقَصَرُوا نظرهم على هذه الحياة الدنيا، فلا يؤمنون بالآخرة، ولا يؤمنون بالغيب، فإذا بهم يُقَدِّسُونَ الطبيعة، ويؤلهونها من دون الله ﷻ؛ فحينما يعيشون في رغبة ينسبون ذلك إلى الطبيعة، وحين ينالهم بؤس ينسبون ذلك إلى الطبيعة، فيتوجهون إليها بالعبادة، وهذا من أسباب الوقوع في الإلحاد والعياذ بالله تعالى.

فحين يُجَمِّدُ الإنسان عقله، ولا يؤمن إلا بالمحسوس؛ كما هو شأن ما يُسَمَّى بالفكر الوجودي، الذي يمثله بول سارتر، ومن معه، فهؤلاء والعياذ بالله لا يؤمنون إلا بما يقع تحت حواسهم البشرية.

وسرى على ذلك الفكر الأوروبي بعد قيام الثورة الفرنسية فيما يُسَمَّى بحركة التطور العلمية؛ لأن هؤلاء حَصَرُوا أنفسهم فيما يُثَبِّتُهُ لهم المختبر؛ فما رأوه بأعينهم، أو لمسوه بأيديهم، أو سمعوه بآذانهم يؤمنون به، وما عدا ذلك فلا يعترفون بوجوده، فوقعوا في الإلحاد، والعياذ بالله تعالى.

وأنكروا الجانب الروحي فيما يتعلّق بوجود الملائكة،
ووجود الجن، فضلاً عن وجود الله ﷻ، وينكرون حقائقه
الروحية، من مثل الوحي، ونحو ذلك، ولذلك وقعوا في
الإلحاد.

وأتباع الفكر العقلاني المعاصر، الذي يدّعي العقلانية، وهو
ليس من العقل في شيء؛ كما ذكر شيخنا الخليلي - حفظه الله
تعالى -، أو كما يقول: الذين حُرِّمُوا نعمة العقل، من باب تسمية
الأشياء بأضدادها، ينحون هذا المنحى، وإن كانوا في البداية
يبدأون بالمجادلة، ونحو ذلك، ولكنهم في النهاية يصلون إلى
هذه الغاية، والعياذ بالله تعالى.

السبب السادس: اتّباع الهوى:

وهذا له مظاهر كثيرة.

والمقصود باتّباع الهوى: هو الميل عن الحق، فهم أتباعه،
وينقادون له ولو كان في ذلك مضرتهم؛ لأنّهم يرون مصلحة
آنية، دون أن يتفكّروا في عاقبة الأمور، كالذي يرتكب الزنا
والعياذ بالله تعالى؛ لأجل المتعة الجنسية في تلك اللحظات،
التي ينتعش فيها بممارسة هذه الرذيلة مع مَنْ حرّم الله عليه
الالتقاء به جنسياً، وكالمتعة التي يجدها مَنْ يشرب الخمر،
ولكن ينسى العواقب بعد ذلك؛ حين يفقد عقله، وكرامته بين

الناس، وربما تَبَوَّلَ على نفسه، وربما هَتَكَ عِزَّ مَحَارِمِهِ،
وربما قَتَلَ نفسه، أو قَتَلَ غيره، وربما أَثْلَفَ ماله، وربما فَعَلَ
أي شيء.

وكذا مَنْ ارتكب فاحشة الزنا، أو فاحشة قوم لوط؛ حين
يُصَابُ بأمراض خطيرة تُؤدِّي إلى هلاكه، وتدمير أسرته، أو ينقل
العدوى إلى غيره؛ نتيجة إصابته بالأمراض الخطيرة، كالإيدز،
والإيولا، والزهري، والسلان، وغيرها.

أو كالذي يتعاطى المخدرات؛ فيشعر بالنشوة، ولكن بعد
ذلك يُصَابُ بالإدمان؛ فيؤدِّي به ذلك إلى هتك عرضه، أو
عرض غيره، أو إتلاف ماله، أو إتلاف مال غيره؛ لأجل
الحصول على هذه المادة التي يتعاطاها، ولا يُبالي بفعل أي
شيء في أي أحد كان، وكان يكفيه الذل الذي يناله بسبب
ذلك.

حتى أن البعض حين يرى مِنْ نفسه الرغبة في الوقوع في
جرائم قد تُؤدِّي إلى إهلاك بعض أحبابه يُبَادِرُ إلى الانتحار،
وقتل نفسه، فَيُفْضِلُ هذا الأمر؛ لِيُنْهِيَ حياته، وَيُكَبِّدَ المجتمع
خسائر كثيرة، وَيُخْزِنُ أهله على فقدته بعد أن أَخْزَنَهُمْ على
ارتكابه تلك الجريمة، وإذلالهم في المجتمع؛ حَتَّى نَكَّسُوا
رؤوسهم؛ لانتمائهم إليهم!!

السبب السابع: التَّنَكُّرُ لِلْفِطْرَةِ:

فالفطرة تدعو إلى توحيد الله وَحْدَهُ، والإيمان به، والإيمان بالحقائق الكونية، والحقائق الغيبية؛ وأتباع الهوى والتَّنَكُّرُ لهذه الفطرة يؤدي إلى الوقوع في الإلحاد والعياذ بالله؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، ومن دون ذلك العناد والمكابرة.

السبب الثامن: الْحَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ:

الذي هو مذكور في أسباب الكفر؛ كما ذَكَرَ شيخنا الإمام نور الدين السالمي رحمته الله، وَذَكَرَ ذلك المولى في أسباب كفر العرب في الجاهلية؛ كما قال الله تعالى نقلاً عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، ﴿أَنزِلْ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ يَمِينِنَا﴾ [ص: ٨].

فمنشأ هذا الإلحاد هو الحسد، والعناد، والكبر، والمجادلة بالباطل، وهم يعترفون بهذه الحقائق، وكم اعترف هؤلاء الملاحدة - ولكن بعد سنين - بأنهم كانوا يجادلون مجادلات عقيمة، وهم يعلمون أنهم على باطل؛ وإنما فقط لإغاطة الخصم، أو لأنهم وجدوا آباءهم على هذا الفكر؛ فساروا عليه، وما أرادوا التغيير، كما هو الشأن في الْحَمِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ والعياذ بالله؛ في قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وفي آية أخرى: ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

فاتَّباعُ الهوى هو الذي يُوقِعُ صاحبه في الإلحاد والعياذ بالله تعالى؛ فحين يُرَدُّ على شخص مثلاً، أو يُهَزَّمُ في مناظرة، ويُفَضَّحُ أمره فيُصِرُّ على الباطل، مع أنه يرى آيات الله البينات، لكنه يتعمى عن بوارق الحق، ويتعاضم عن قوارع النذر، والعياذ بالله.

السبب التاسع: التَّرف:

وهو وسيلة من وسائل الأعداء، والشيطان، والنفس الأمارة بالسوء في إيقاع الإنسان في الإلحاد والعياذ بالله تعالى؛ لأنَّ الترف يؤدي إلى انعدام الحياء والغيرة؛ فغالبًا المترفون والعياذ بالله تعالى مائلين إلى الحياة الدنيا، مُخْلِدينَ إليها؛ بحيث لا يرون إلا التمتع بهذه الحياة الدنيا الفانية، فهم يُعَظِّمُونَ شأنها؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُمْ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

فَيَتَنَكَّرُ لآيات الله تعالى؛ لأجل ذلك، كما قال هؤلاء الصهاينة فيما يُسمَّى ببروتوكولات حكماء صهيون: «كأس وغانية يصنعان في أمة محمد ما لا يصنعه ألف مدفع».

وهذا ما ذكره الإمام السالمي رحمته الله في جوهر النظام، فقد ذكَّرَ هذا الأمر قبل أكثر من مئة عام، بأنهم يأخذون الدار بالخدائع.

وهذا الترف أصيب به - والعياذ بالله - كثيرٌ من الأغنياء، وكثيرٌ من أهل السلطة؛ فأصبحوا يهتمون بسفاسف الأمور، ولا يعتنون بالدين، فلا يُبَالُونَ أَنْ تُنْتَهَكَ حرَمات الله، ولا يُبَالُونَ

أَنْ يُكْفَرَ بِاللَّهِ وَبِكُلِّ، وَلَا يُبَالُونَ أَنْ تُنْتَهَكَ المقدسات، وَلَا يُبَالُونَ أَنْ تُحْتَلَّ الأرض، فهذا لا يهتمهم، وإنما همُّهم هذا الفتات المتساقط من موائد الآخرين؛ لأنَّ هذا هو شأن المترفين.

وربما يُلَجَّدُ أحدهم؛ كما وقع أَنَّ امرأةً شابةً فُتِنَتْ برجل أجنبي نصراني؛ فارتدت عن الإسلام، وخرجت معه، وتركته أهلها.

وقد يُفْتَنُ شابٌ بفتاةٍ، فيسيل لعبه لجمالها، فتستولي على عقله؛ ليمرَّغَ في أحوال الرذيلة، فإن قيل له: بأنَّ الإسلام يُحَرِّمُ هذا دون أن تكون هناك علاقة زواج شرعية، فلا يبالي أن يرتدَّ عن الإسلام؛ ليعتق الإلحاد، أو غير ذلك من الأفكار الباطلة، والأديان الضالة؛ لأجل هذه الشهوة.

أو كما يصنع بعض عبيد المال، حين يستحلُّون الربا والعياذ بالله تعالى؛ لأنَّهم لا يستطيعون كبح جماح أنفسهم بالاستكثار من المال؛ كما قال الله تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢]، فلا تجدي معهم موعظة، ولا تنفع معهم نصيحة؛ فبسبب هذا الترف وقعوا في الإلحاد والعياذ بالله تعالى.

وكما قلتُ: الأمر خطير جدًّا؛ فبسبب وقوع الناس في الترف أدَّى بهم ذلك إلى العناية بسفاسف الأمور، فلا يباليون بموالاته أعداء الله وَبِكُلِّ؛ فنرى بعض الشباب الآن يتعلَّقون بما يُسَمَّوْنَ

بالمشاهير، فيما يُعرَفُ بوسائل التواصل الاجتماعي، وسوشل ميديا، سواء كان هؤلاء من المغنين، أو الراقصين، أو كانوا من أصحاب الوسامة، أو الوجوه الجميلة، أو كانوا غير ذلك، وإن كانوا منطوين على كفر وإلحاد، وإن كانوا من المنحطين خُلُقِيًّا، وإن كانوا يُصَرِّخُونَ بمعاداة الإسلام، أو بولائهم للصهيونية العالمية، أو غير ذلك.

فغاية ما في الأمر أن كثيرًا من الشباب المسلم يتأثرون بهؤلاء؛ نتيجة ضحالة الفكر، والترف الذي أصابهم، فأخلدوا إلى الأرض، فبمجرد كلمة ينطق بها هؤلاء يتبعونهم، ويُقِرُّونهم على ما هم عليه من الكفر والضلال؛ تعاطفًا معهم، ولو أُريد أن يُنَالَ أحدهم بالعقوبة الشرعية التي يستحقونها مانعوا من ذلك، وربما خرجوا مظاهرات في ذلك؛ انتصارًا لهؤلاء الساقطين والعياذ بالله تعالى.

ويتولَّد أيضًا عن هذا الترف الاستهتار وعدم المبالاة، وهذا ما يقع فيه بعض الشباب الآن للأسف الشديد؛ حيث رجعوا من أوروبا بعد البعثات الدراسية وهم لا يبالون، وهم مستهترون بكل شيء؛ مستهترون بالمقدسات، وبالיום الآخر، وبالرموز، أي: العلماء الربانيين، وبأحكام الله ﷻ، فلا يبالون بشيء؛ لأنَّهم يريدون أن يعيشوا حياتهم - كما يقولون -، وأن يستمتعوا، وأن لا يمنعه من ذلك مانع.

السببُ العاشرُ: التَّطَرُّفُ:

سواء كان ذلك بالإفراط، وهو الغلو والإرهاب، أو كان ذلك بالتفريط، وهو الانبطاح كما أُسمِّيهِ، وهو أحسن، وأقوى من كلمة التسامح.

فالإفراط الذي يؤدِّي إلى التَّشَدُّد - وهذا يُشَوِّهُ صورة الدِّينِ الحق - قد ينتج عن ذلك ممارسة وإرهاب بتطبيق ذلك في الواقع؛ فقد تكون هناك فئة مُتَشَدِّدَةٌ، تُوصَفُ بالغلو، ولكنها تجبج جباح نفسها فيما يتعلَّق بالتصوف إلَّا قليلاً، أو في نطاق ضيق.

ولكن بعض هؤلاء المتشددين ربما يتجاوزون إلى إرهاب الآخرين، وإلى تطبيق فكرهم على الناس بالقوة، فَمَنْ وافقهم أحاطوه بعنايتهم، وأغدقوا عليه المنصب والمال، ومَنْ خالفهم حكموا عليه بالعدم فقتلوه، حتى أنَّ بعضهم يصل به الأمر إلى أن يقتل أخاه، أو يقتل أباه، أو يقتل جاره، أو يقتل إمام المسجد الذي كان يصلِّي خلفه.

وهذا مرضٌ خطيرٌ جدًّا، وقد حَذَّرَ الله تعالى منه أهل الكتاب؛ ﴿لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وقد نشأ هذا عند اليهود؛ بدعوى التَّدين، والتَّقرب إلى الله ﷻ.

وقد حَذَّرَ الله ﷻ هذه الأمة منه أيضًا، وصرَّح بذلك رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة؛ فقد نهى عن التشدد والغلو في

الدِّين، وأمر بالتيسير لا التعسير، إِلَّا أَنَّ هذا التيسير يكون بقواعده وبضوابطه.

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة، وقد دفع هذا الأمر بعض الناس إلى الإلحاد والعياذ بالله تعالى، ومن هؤلاء أنفسهم الذين وقعوا في الغلو؛ لأنَّ الغلو معاكس للفطرة، ومضاد للدِّين؛ كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»^(١).

فقد وقعوا في اضطراب نفسي، وفي عُقْدٍ نفسية، ووصلوا إلى نتيجة: أَنَّهُمْ لَا يستطيعون تطبيق الدِّينِ على ذلك النحو الذي فهموه؛ فانقلبوا إلى الضِّدِّ، وهو ترك الدِّينِ بالكلية.

أو أَنَّ هؤلاء: أَعْطَوْا للدِّينِ صورة غير صحيحة، أي: مشوهة، ولما رآهم بعض الناس على تلك الحال تنكَّروا للدِّين، وآثروا إنكار الدِّينِ على الإطلاق؛ فمنهم: مَنْ لَمْ يدخل الدِّينَ أصلاً، ومنهم: مَنْ ارتدَّ عن الإسلام والعياذ بالله؛ وذلك بسبب هذه الممارسات الخاطئة.

وَأَذْكُرُ قَبْلَ سَنَيْنِ، وبعد حصول بعض التفجيرات في لندن ومدريد، كنتُ أتابع بعض القنوات الفضائية؛ فوجدتُ تَهَمًّا مباشرة بأنَّ بعض مَنْ تورَّطَ في ذلك هم مسلمون.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، رقم: ٣٩.

وبالمناسبة أريد أن أعلّق على هذه النقطة: بأنّ ليس كل ما يُنشر في الإعلام صحيح، خاصة الإعلام الغربي، الذي يدّعي الحيادية، وما يسمّيها بالموضوعية.

وليس الأمر كذلك؛ بل هو إعلام موجّه، خاصة ضد الإسلام، وهو يدّ للمنظمات والدول؛ لأجل تشويه صورة الإسلام؛ لأنّ تلك الدول والمنظمات رأّت أنّ الإسلام بدأ يفتح عينيه، وأنّ هذا العملاق بدأ يستيقظ من سباته، يفتح عينيه، ويمدّ رجليه، ويوشك أن يقوم على قدميه؛ فيريدون الإجهاز عليه قبل أن يتخذ منه ذلك.

رأوا ذلك حسب الإحصاءات التي ينشرونها، وهذا شيء أيضاً ملاحظ في الواقع: أنّ الإسلام هو أسرع الأديان انتشاراً على مستوى العالم، وأخذوا يحسبون بعمليات معينة حسب توقعهم أنّه بعد نحو ٥٠ خمسين عاماً سيحكم الإسلام أوروبا؛ حسب ما هو واقع الآن في المجتمعات الغربية، وهدفهم من ذلك تقوية ما يُسمّى بالحركات اليمينية، أي: المتطرفة العنصرية؛ لتكون ضد الإسلام، وتقوم بحراك شعبي إعلامي سياسي اقتصادي اجتماعي ضد الإسلام فيما يُعرفُ بفكرة الإسلاموفوبيا، أي: التخوف من الإسلام.

وقد ظهر ذلك في دول كثيرة؛ فهناك الحزب الوطني (Natioal party) في بريطانيا، ويتزعمه أحد هؤلاء المعادين للإسلام، وهو آدم ووكر ومنّ معه، وهناك حزب اليمين المتطرف

في هولندا، وفي النرويج، وفي ألمانيا، وفي فرنسا، وفي غيرها من البلاد الأوروبية.

وهذه تتعاون فيما بينها، وعندما رأَتْ سرعة انتشار الإسلام في تلك البلاد أخذت تستعمل هذه الوسائل الإعلامية؛ لأجل بثِّ المعاداة للإسلام، وخطر الإسلام، وربما يقومون بأجهزتهم المعروفة بالمخابرات الخفية بإنشاء بعض الجماعات، التي تنتمي في ظاهرها للإسلام، أو أنَّهم اخترقوها أمنيًا أصلاً حتى وصلوا إلى أعلى درجات التأثير في قيادتها؛ لِيُوجِّهوها للقيام بِعَمَلٍ مثل هذه العمليات، لِتُنْسَبَ إلى المسلمين، وَلِتُشَوِّهَ صورة الإسلام، فربما يكون بعض الشباب المسلم فَعَلَ ذلك حقيقة، ولكنهم غُرِّرَ بهم، فهم يتحمَّلون مسؤوليته.

ولكن وراء ذلك أيضًا قد تكون الأيدي الخفية، وربما يكون عن طريق آلاتٍ مُعَيَّنَةٍ لا يُنْقَلُ فيها أشخاص؛ وذلك بسبب تطور أسلحة الفتك والدمار لدى هؤلاء، ثم يُنْشَرُ بأنَّ فلانًا قام بذلك، وهذا الشخص مَيِّتٌ للأسف الشديد مع أنَّه مسلم، ولكن لا يُعْلَمُ له أثر، فلا يستطيع الدفاع عن نفسه، ولا يستطيع أهله إنَّ عرفوه أنَّ يدافعوا عنه أنَّه لم يفعل، فلا يُسْمَعُ لهم صوت، وإنَّ قاموا بذلك سيُسَكِّثون ربما إلى الأبد، فنسأل الله العافية.

فإذن هذه من وسائل هؤلاء، ومن أسباب انتشار الإلحاد في العالم.

وأرجع إلى القضية أنه بعد وقوع هذه العمليات بما عُرف محطة مترو الأنفاق التي تحت الأرض، في محطة كينغز كروس في لندن، وفي مدريد أُعْلِنَ بأنَّ الذي فَعَلَ ذلك مسلمون، والله أعلم.

وظَهَرَ في بعض القنوات العربية الإسلامية محاورَةٌ مع أحد المفكرين المسلمين، فكان يتكلَّم بأنَّه يستنكر، ويشذب، ويدين هذا الفعل، وأنَّه ضد الإسلام، وضد الدعوة الإسلامية؛ لأنَّ هؤلاء إن كانوا يريدون الدعوة إلى الإسلام، وانتصار الإسلام فهذا خطأ، ولا يكون بمثل هذا التصرف؛ لأنَّ هذا التصرف يؤدِّي إلى تهيج الرأي العام الغربي الأوروبي ضد الإسلام، بل العالمي.

فالناس حينما يرون ذلك يمثلون حقًا وغيضًا على الإسلام، ولا يدخلونه، ولا يقتنعون بأفكاره، ومن أراد إقناعهم يكون قد تولَّد لديه فكرة سلبية؛ فيعاني الدعاة للوصول إلى إظهار الحقيقة إليه؛ لأنَّه يلزمهم أولاً أن يزيلوا هذه الغشاوة عن ذهنه فيما يُعرَفُ بالفكر المغلوط النمطي؛ كما يُسمُّونه عند هؤلاء، نسأل الله العافية، والعياذ بالله.

وكذلك من التطرف التفريط والتهاون في الدِّين إلى درجة الذوبان في الآخرين، مع أنَّ في الدِّينِ ثوابت لا يمكن التنازل عنها، ولكن البعض للأسف الشديد يتساهل في هذه الثوابت؛ كما قال أحمد مطر في بعض قصائده:

والدين من فرط يسره قد احتوى مسيلمه

فأصبح الآن مَنْ يكفر بالدينِ مِنَ الدينِ!! ولا يُخْرِجُ منه، ولا يَأْتِي هو الخروج منه، بل يبلغ به الأمر أَنْ يتكلَّم باسم الدينِ مع أَنَّهُ يحارب الدينَ، وهذا شأن عجيب!!

وشيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - ذَكَرَ عن بعض هؤلاء بأنهم يحاربون مبادئ الدينِ والتوحيد، وينتصرون لأسيادهم من الملاحدة والكفرة، فليتهم تركوا التَّقُولَ على الله بغير علم، وليتهم تركوا تفسير القرآن، فلماذا يتشبثون بالقرآن، ويتكلمون باسم الإسلام، وينشرون بين الفينة والأخرى بعض التغريدات بأنَّ الإسلام كذا، والقرآن كذا، كأنما يتكلمون باسمه، وهم أبعد ما يكونون عن الدينِ.

فالتَّفْرِيطُ الذي أَدَّى إلى هذا الانبطاح أيضًا قد يُوَدِّي إلى الإلحاد والعياذ بالله؛ وذلك حينما يقول بعض الناس: الكفر بالله عادي، وكل واحد حر أَنْ يعبد الله، أو أَنْ يعبد بقرة، أو أَنْ مَنْ يعبد البقرة - لأنَّه مجتهد استعمل عقله - سيدخل الجنة، وربما بعض هؤلاء الكفرة لم تبلغه الدعوة، ما شاء الله!!

وربما يقول بعضهم: بأنَّ هذا فلان، الفيلسوف البريطاني، نَفَعَ الإنسانية بما لم ينفعه بعض المسلمين، الذين لا يعرفون حتى صُنِعَ إبرة، فهذا نَفَعَ الإنسانية بما اكتشف من أشياء، وبما صَنَعَ من آلات، وابتكَرَ من أشياء، فكم له مِنْ أَجرٍ بسبب ذلك؟!

سبحان الله!! هو لا ينظر إلى الكبيرة التي تلبّس بها، وهي الشرك بالله تعالى، التي تُخِيطُ كل عمل؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّاَ عَلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِلَهِينَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، إلى غير ذلك من الآيات، فسبحان الله العظيم!!

السبب الحادي عشر: تحريف الدين وتشويهه:

إمّا: بالتعنُّتِ، أو التثليث، أمّا التَّعَنُّتُ فقد ظَهَرَ من اليهود، والتثليث ظَهَرَ من النصارى، والمقصود بذلك في النهاية هو تعطيل وتجميد العقل.

وينبغي هنا أن أقول كلمة فيما يتعلق بأوروبا خاصة، وذلك فيما يُعرَفُ بالعصور المظلمة، ومن أراد المزيد من ذلك فليرجع إلى كتاب واقعنا المعاصر لمحمد قطب، وإلى غيره مما كُتِبَ في هذا المجال:

فأوروبا في العصور المظلمة، أو القرون الوسطى، والتي تمتد تقريباً فيما يُعرَفُ بالقرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، نحو أربعة أو ستة قرون، كانت تعيش الفقر، والجهل، والتخلف، والمرض، والضعف في النواحي الروحية، والعلمية، والسياسية، والاجتماعية والمالية، وغيرها.

فمن الناحية الروحيّة كانت منقطعة الصلة بالله تعالى؛ لأنّها

كانت تعيش على أفكار شيطانية، فكان كثيرٌ من الناس يؤمنون بالخرافات، وبالشياطين، ويلجأون إلى السحرة، وربما يُقدِّسون الأحجار والأشجار؛ وبسبب جهلهم أيضًا وقعوا في ذلك، وبسبب ضعف الكنيسة في فترة من الفترات أيضًا، وبسبب الحُكَّام الظلمة الذين ينشرون فيهم هذه الأفكار؛ لأنه يسهل عليهم التحكم في الشعب الجاهل، فانقطعت صلتهم الحقيقية بالله تعالى إلا قليلاً.

ومن الناحية الفكرية كانوا يؤمنون بالخرافات، وكانوا يُعطِّلون العقل، وكانت الكنيسة تقوم بذلك فيما يُعرَفُ برجال الدين، وذلك بعدما حصل تحريفٌ في الكنيسة، وتحريفٌ في أفكار التوحيد، التي جاء بها عيسى عليه السلام؛ فانتشر التثليث، وطالب القساوسة والرهبان الناس بالإيمان بأنَّ الله واحد، وفي الوقت نفسه هو ثلاثة؛ لأنَّ أول مبادئ الوصايا العشر في العهد القديم التوحيد، وهذا معروف عند اليهود، وهم يؤمنون بالعهد القديم.

وأضافوا إليه العهد الجديد فيما يُعرَفُ بالكتاب المقدَّس، وحتى يُقنعوا الناس بأنَّ الواحد ثلاثة يطالبونهم بعدم استعمال العقل، ومنَ ناقَشَهُمْ في ذلك اعتبروا ذلك هرطقة، أي: نوعٌ من الكفر، أو الزندقة؛ ولذلك حرَّمُوا ما يُعرَفُ بالمنطق الأورسطي، وحرَّمُوا مطالعة كتب الفلاسفة اليونانيين، وكان ذلك إبانَ الدولة

الرومانية المادية الشهوانية، التي مجّدت الشهوات، والقوة والطغيان، واحتقرت العلم والثقافة، فضيّع الفكر، وذهبت بساطة الدّين، ونقاوته، ونوره.

وكذلك مُنِع العلم؛ لأنّ الكنيسة في ذلك الوقت كانت تعتبر التعلم نوعاً من اكتشاف أسرار الكون، واكتشاف ذلك يؤدّي بالإنسان إلى أن يُضادَّ الله ﷻ - وأستغفرُ الله - في تصريف الكون إذا اكتشفت أسرارهِ؛ ولذلك انتشر في الأوروبيين إِبَّانَ ذلك العصر، وتلك القرون فكرةُ انتهاء العالم بحدود أوروبا الغربية، فيما عُرِفَ بالمحيط الأطلسي، وعُرِفَ ذلك البحر بأنّه بحر الظلمات، ونَقَّوا أن يكون هناك بشرٌ، أو أرضٌ بعد ذلك البحر، وكانوا ينشرون بأن مَنْ ذهب بذلك الاتجاه استولت عليه الشياطين، وأهلكته، فَمَنَعُوا الإبحار إلى تلك الجهة.

ومن ناحية الفقر كان الناس يعيشون الفقر؛ بحيث لا يكادون يجدون لقمة العيش في الغالب، أي: غالب المجتمع، إلّا ما عُرِفَ بالطبقة الأرستقراطية، وهي الطبقة الغنية، طبقة النبلاء؛ لأنّ المجتمع اجتماعيًا كان يعيش على طبقات؛ فهناك الملك وحاشيته، وهؤلاء الأعلى، ثم النبلاء وأمراء الأجناد، الذين كانوا يُعْطَوْنَ الإقطاعات الواسعة؛ لإرضائهم، وتشجيعهم على توسيع المملكة، وإخضاع الناس، وهناك طبقة الأغنياء، ثم طبقة المتوسطين في المجتمع، ثم طبقة الفقراء والعبيد.

فالناس في أغلبهم كانوا يعيشون الفقر، والحاجة، والمرض، والجهل؛ لأنَّ العناية بالصحة، وبالعلم، والراحة، والثقافة كانت حِكْمًا لثُلَّةٍ قليلة من قبيلة الملك وأتباعه، أو مَنْ رَضِيَ عنه طبعا، وهذا بدوره أدَّى إلى فوارق اجتماعية خطيرة.

ومن نواحي أخرى كان المجتمع يدور في قتال، ومعارك، وطغيان؛ كما عَلِمَ عن الدولة الرومانيَّة، التي تَمَزَّقت، وتشتَّتت، وأصبحت دُولَاتٍ يُنَاوِشُ بعضها بعضًا، فتأريخ أوروبا دموي، واستمر هذا الحال كثيرًا.

ومن ضمن القصص التي تُذَكِّرُ في هذا: أنَّ القساوسة من النصارى كانوا يبيعون صكوك الغفران على الناس - يضحكون عليهم -؛ لأجل أن ينالوا المغفرة، ودخول الجنة، ولأجل ذلك يلزمهم أن يذهبوا؛ ليعترفوا بآثامهم أمام القسيس، ولا ينالون صك الغفران إلَّا بدفع مال، سبحان الله!!

وانتشرت هذه التجارة وراجت، واستغنى هؤلاء القساوسة، فأراد أحدٌ مِنَ اليهود أن يقوم بشيء؛ فذهب إلى أحد القسيسين الكبار، وعرض عليه أن يشتري ما عنده، فَعَرَضَ عليه القسيس صكَّ الغفران، فقال: لا أريد هذا، ولا أريد شراء الجنة من عندك.

فقال القسيس: ماذا تريد أن تشتري؟

فقال: أريد أن أشتري من عندك النار، فسخر القسيس منه.

فقال: ما هذا الغباء!!

وهو أصلاً لا يبيع النار، لكن رأى شخصاً مخبولاً أمامه لا يريد أن يشتري الجنة، وإنما يريد أن يشتري النار، وهو أصلاً لا يملك الجنة، ولا يملك النار.

فقال: حسناً أبيعك النار.

فقال: كم تريد ثمناً؟

فقال: ثمناً، فاشتري منه النار، ووقعت الصفقة.

وبعد أن اشترى ذلكم اليهودي النار خرج للناس، وقال: يا أيها الناس افعلوا ما شئتم؛ فقد اشتريتُ النار، وهي ملكي من القسيس، وهذا هو يعترف أمامكم فاعترف.

فقال: افعلوا ما شئتم، لن يدخل أحدكم النار؛ لأنها ملكي.

فبارث - كما يقال - تجارة القسيس؛ لأنَّ الناس لم تَعُدْ بعد ذلك بحاجة لشراء صكوك الغفران؛ لأنهم لا يخافون دخول النار!!

فانظروا إلى هذه المهزلة التي وقعت؛ وعلى مَنْ ستضحك: على القسيس؟! أم على اليهودي الماكر؟! أم على المجتمع والناس؟! الذين كانوا يُصَدِّقُونَ مثل هذه الخزعبلات، والخرافات.

فهذه صورة الذين التي كانت موجودة؛ ولذا لا نستغرب أن قامت على إثرها الثورة الفرنسية، مع ما فيها من الظلم، والاستعباد، والقتل، من نحو قصة غاليليو عندما قال: بكروية الأرض، أو دورانها، ومَن معه، فقتِلَ مئات، بل آلاف من العلماء بسبب ذلك.

وقصة ما قام به مكتشف أمريكا الجنوبية كريستوفر كولومبوس؛ حينما أبحر بإذن من الملك فرديناند وإيزابيلا سنة ١٤٩٢م، وأبحر إلى الهند في زعمه إلى جهة الغرب، فإذا به يكتشف تلك الأرض، ويقول: بأنَّ هؤلاء هم الهنود كما كان يقرأ عنهم، وهم ليسوا هنودًا، ولكنهم حُمُرٌ يختلفون عن الهنود السُّمِرِ، الذين كان يتوقع الوصول إليهم، فرجع إليهم، وأثبتَ للناس بأنَّ هذا البحر وراء أرض، وهناك عالم يعيشون، وبأنَّه لم يحدث له شيء بالبحار فيه كما يقول القساوسة.

فبارث تجارة الكنيسة وأفكارها، وفَقَدَ الناس الثقة بهم، وأنشأ كريستوفر كولومبوس بالمال الذي غَنِمَهُ بموافقة الملك -والذي أعطى جزءًا منه الملك فرديناند، ومَن معه - المدارس؛ لأجل تدريس المنطق، ودراسة الفلك، وهناك بدأت العلوم تقوى، ويطمئن إليها الناس؛ فتركوا الخزعات، والأفكار، ووثقوا بالعلم إلى أن قَدَّسُوهُ، وتَنَكَّرُوا للدين، واعتبروا الذين سببَ التخلف، والرجعية، والانحطاط، فبذلك آمنوا بالإلحاد والكفر، والعياذ بالله تعالى.

ولذلك كان تحريف الدِّينِ من ضمن أسباب وقوع الناس في الإلحاد في أوروبا.

والإشكال في الأمر: أنَّ رجال الدِّينِ - أي: الدِّينِ المحرَّف - من اليهود والنصارى كانوا يتسنَّمون ذروة هذا الأمر؛ تعاونًا فيما بينهم وبين الأباطرة؛ كما ذكر غير واحد ممَّن كتب في هذا المجال.

وقد تعرَّض لهذا الأمر: سيد قطب في كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام، وأيضًا الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ومحمد قطب في كتابه واقعنا المعاصر، وغير هؤلاء كثير. كما ذكَّر هذا الأمر شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - في كثير من دروسه، ومحاضراته، وتأليفاته.

وهذا الأمر اعترف به كثيرون، وهو الواقع: أنَّ القساوسة الفاسدين إِبَّانَ ذلك العصر كانوا مُتَحَالِفِينَ مع الملوك الظلمة المستبدين؛ لأجل تطويع الجمهور باسم الدِّينِ، فكانوا يقومون بمظالمهم، ولا تُجِيزُ الكنيسة الاعتراض عليهم؛ لأنَّها تنشر بين الناس بأنَّ لهم صلة بالإله، وبأنَّهم خلفاء الله تعالى في أرضه، وأنَّهم ظلُّ الله في أرضه، وأنَّه تجب لهم الطاعة المطلقة، وروَّجوا لفكرة الجبرية، كما يقولون: «مَنْ ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر»؛ دلالة على الرضا، وأنَّ كلَّ ما يحدث للناس من

ظلم إنما هو من قضاء الله تعالى وقدره، وعليهم أن يرضخوا، وأنَّ النَّاسَ جميعًا مُسَيَّرُونَ، وأنَّ هؤلاء الظلمة لا يُحَاسِبُونَ على ذلك؛ لأنَّ الله تعالى قَدَّرَ عليهم هذا الأمر، فباسم الدِّينِ كانوا يظلمون الناس.

فضلاً عن منع الناس من العلم؛ كما في كلامهم، في كتاب العهد القديم في الإصحاح الثاني من سفر التكوين: أنَّ الله تعالى منع آدم وحواء من الأكل من شجرة المعرفة؛ حتى لا يعرفوا الخير والشر، فيبقوا على جهلهم، فجاءت الحية فأغرتهم بالأكل من الشجرة، فعرفوا الخير والشر.

وهذا أمرٌ انطبع في أذهان هؤلاء، وصارت المعرفة عند الإنسان في نظرهم قرينة لتحدي الله ﷻ، أو مشاركته في تسيير نظام هذا الكون؛ ولذلك منعوا المعرفة والعلم.

وكما ذكرتُ أيضًا أنَّهم منعوا دراسة المنطق الأرسطي، ودراسة الفلسفة الإغريقية؛ لأنَّهم رأوا في ذلك استعمالاً للعقل، وبما أنَّ عقيدتهم في طبيعة المسيح ﷺ كانت مخالفة للعقل، منعوا من استعمال العقل، واعتبروا استعمال العقل في اصطلاحهم هرطقة، وأنَّ ذلك منافي للإيمان، وأنَّه يجب أن يكون مع الإيمان الاتباع المطلق، كما يقولون: «اتَّبِعْ وَأَنْتَ أَعْمَى»، فأدَّى هذا الأمر في النهاية إلى احتقان تلك المجتمعات، ومعاناتها الشديدة.

وَأَذْكُرُ عندما كنت في بريطانيا قبل ما يقارب عشرين عامًا من الآن: أُنَّا ذهبنا في زيارة لمدينة في شمال إنجلترا، أو إنجلترا، وهي مدينة يورك، وكانت بها معالم أثرية قديمة، فذهبنا لزيارة مبنى ضخّم، وهو عبارة عن كنيسة أثرية، فكان المرشد السياحي يسأل مجموعة الطلبة، وكنت من ضمنهم: عن عمر بناء هذه الكنيسة، هذا المبنى الضخم؟

فقال بعضهم: عشر سنين، وبعضهم أوصلها إلى عشرين، وبعضهم بالغ؛ فقال: استغرق بناؤها أربعين عامًا، فذلك أقصى ما وصل إليه خيال هؤلاء.

فإذا بهذا المرشد يقول: بأنّ بناء هذه الكنيسة استغرق مئتين وأربعين عامًا، والملوك الذين تعاقبوا على بنائها دُفِنُوا فيها، وقبورهم شاهدة على ذلك، يأتي أحدهم فيعمّر عشرين، أو أربعين سنة، أو أكثر؛ حتى يموت، ويتلوه الآخر، وهكذا وهم جملة.

وقد بَقِيَتْ هذه الكنيسة بينائها شامخة بعد مضي قرون كثيرة كأنّها جديدة، وهذا ليس بعجب حين اطلّعت على ذلك البناء الفخم الكبير جدًّا.

ومما يدل على ذلك: أُنَّا حين كُنَّا نتجوّل في فنائها إذا ببعض الألواح موضوعة على بعض الثقوب، والفراغات التي على الجدار، فقال لنا المرشد: أترون هذا؟

فقلنا: نعم.

قال: هذا غطاء لنا فذة من النوافذ الموجودة في هذه الكنيسة.

يقول: هل تعلمون المدة التي استغرقها المتخصصون الفنيون لإزالة هذه النافذة الزجاجية؟

لقد استغرق هذا الأمر سنتين من العمل، وهم يُنظفون الآن هذه النافذة، وذلك بتفكيكك قطع الزجاج الصغيرة فيها؛ لأنها مُشكَّلة بشكل فنيٍّ معين، وصورة معينة، وليست مجرد صبغ يُصبغُ على الزجاج، وإنما قطع زجاج ملونة بذاتها من الداخل، ورُكِّب بعضها على بعض؛ وذلك بتقطيعها بدقة، وبالصاق بعضها ببعض؛ حتى يتكوَّن منها شكل معين، فاستغرق تفكيكها سنتين، وتنظيفها تقريباً سنتين، وسيُعَاد تركيبها بإعادتها إلى موضعها سنتين!!

هذه نافذة واحدة يستغرق الأمر فيها مجموعة من المتخصصين مدة ست سنوات تقريباً، فما بالكم بغيرها من النوافذ التي تملأ المكان، وذلك البنيان الهندسي الضخم الكبير؟!

وعندما رجعت إلى مركز اللغة، الذي كنت أدرش فيه، سألوني: عن المكان الذي زرته؟

فأخبرتهم: أتت زُرْتُ المكان الفلاني، فأبدوا امتعاضهم بذلك؛ لأنَّ الناس هناك ما زالوا يحملون الحقد لمثل هذه المباني والمؤسسات؛ ذلك لأنها تُمثِّلُ دليلاً عملياً على الظلم؛ حيث كان

رجال الكنيسة يعيشون في حياة البذخ والترف إِبَّانَ القرون الوسطى، وبنوا هذه المباني الضخمة بالملايين من عرق أولئك الفقراء والبسطاء، الذين كانوا يدفعون الضرائب رغماً عنهم، مع قلة دخلهم، وحين لا يفعلون ذلك يُنْشَرُ فيهم الحرمان الكنسي، أي: يوصفون بالكفر، وبحرمانهم من دخول الجنة، ويُعَامَلُونَ معاملةً فيها إِذْلالٌ، واحتقارٌ، وظلمٌ، وربما حُسُوءٌ، ورُبَّمَا نُكَلَّ بهم التنكيل الكبير، فهذا مثال على ذلك.

وقد ذَهَبْنَا أيضًا إلى قبرٍ من الأقبية، وهناك خزانة كانت ملاءى بالذهب حُجِّيت في تلکم الأقبية، بل خزائن، بينما كان الناس يتضوَّرونَ جوعًا!!

فهذا مثالٌ من أمثلة الظلم الاجتماعي؛ لتشويه صورة الدين، ولتصور مدى تَمَرَّدَ الناس على الدين لأجل ذلك، حيث جَعَلُوا أنَّ تقدُّمهم ورُقِيَّهم لا يكون إلا بالتَّخْلِي عن الدين، ولذلك عندما قام كارل ماركس بنشر أفكاره استعمل هذا السبب؛ لتعبئة قلوب الناس حقداً على الدين، وأنَّ الدينَ هو سبب الظلم، وسبب الفساد؛ وذلك لما يُمَثِّلُهُ تاريخ الكنيسة في أوروبا.

وهو نفسه عانى من الظلم الاجتماعي كما ذكر شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - في بعض دروسه ومحاضراته؛ نقلاً عن مذكرات زوج كارل ماركس، حيث ذَكَرَتْ من ضمن ما ذَكَرَتْ: أنَّها وزوجها كانا يسكنان في شقة، وتأخَّرَا عن دفع

الإجار في ذلك الشهر، فما كان من مالكة البيت إلا أن أنتهم في ليلة شاتية قاسية ببرودتها، فَطَرَدَتْهُمْ من السكن، فأصبحوا في العراء، لا مأوى لهم، ولا يجدون مَنْ يأويهم، وكل هذا لأنهم كانوا فقراء لم يستطيعوا دفع الأجرة التي عليهم.

وَذَكَرَتْ أَيْضًا مَثَلًا آخَرَ عن ابنتها: أَنَّهَا مَرِضَتْ، فلم يستطع أبوها وهو كارل ماركس شراء الدواء لها؛ فماتت بين أيديهم، فاعتصر قلبها أَلَمًا، وقالت فيما قالت: وا أسفاه، لقد وَقَدْتُ ابنتنا إلى الدنيا ولم تُرْزَقْ مهْدًا، وَغَادَرَتْهَا ولم تُرْزَقْ كَفًّا.

فهذا الظلم الاجتماعي لا شك أنه كان من ضمن الأسباب التي دعت أولئك الناس للوقوع في الكفر والعياذ بالله تعالى.

وكما قلت: لست هنا بصدد التسويغ لهذا الأمر، ولكن هي أسباب يستغلها الشيطان والنفس الأمارة بالسوء؛ ليقذفا في أصحابها الشك، والسخرية، والاستهزاء، والإنكار للثواب القطعية التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

ولذلك لا نستغرب أن يُنْكِرَ المولى ﷺ أشد النكير على اليهود والنصارى في كتابه - كما هو معلوم في كثير من الآيات، وخاصة الأحبار والرهبان - مَا تَقُولُوهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بغير علم، ونسبوه إلى الدين، وما ذلك إلا لأن الله تعالى يعلم أن هذا التشوية سيؤدّي إلى تنفير الناس من اتباع الحق، وقبول الطاعة لله ﷻ.

السبب الثاني عشر: التشبيه والإرجاء:

وهذا الفكر قد بدأ باليهود والنصارى أيضاً؛ فاليهود هم الذين اشتهر عنهم التشبيه، وتبعهم النصارى.

وكذلك الإرجاء أيضاً؛ فكان عند اليهود، وتبعهم النصارى، واشتهر عنهم، وسرى إلى بعض فئات هذه الأمة من بعد؛ فاعتنق بعضهم فكر تشبيه الله تعالى؛ نتيجة الاختلاط بأهل الكتاب، ودراسة كتبهم، والأخذ بالإسرائيليات، وعدم التحقق من صحة الأحاديث التي تُنسب إلى النبي ﷺ، فكان جُلُّ عنايتهم تتبع رجال الإسناد، وبذلوا جهداً أقل في تتبع المتن؛ فقبلوا طائفة من الأحاديث الضعيفة، بل الموضوعة، فضلاً عن الإسرائيليات، ونسبوا إلى النبي ﷺ، واعتقدوها؛ لأخذهم بالروايات الأحادية في مجال الاعتقاد.

فأثبتوا بها أصول الدين مع أنها ثمرة اليقين وقبلوه في خلاف القطع فاختلطت أصولهم بالفرع

فهذا الأمر أدَّى والعياذ بالله إلى الوقوع في مزالق كثيرة.

والتشبيه بشقِّه مذموم، سواء كان تشبيهاً لله ﷻ بخلقه، أو كان تشبيه الخلق بالله ﷻ.

أما الشقُّ الأول؛ وهو تشبيه الله تعالى بخلقه؛ فلا شك أنه يؤدِّي إلى انتقاص تعظيم الله تعالى في النفس، وهذا ما ورد فيما

يُعرف بالكتاب المقدس عند النصارى في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين، والذي فيه: أَنَّ يَعْقوب عليه السلام كان في طريقه، فأتاه في الليل مَنْ يصارعه، فصارعه فلم يستطع هذا المصارع ليعقوب عليه السلام أَنْ يفلت منه؛ لِأَنَّ يَعْقوب عليه السلام قبضه قبضة شديدة، فقال له: لا أطلقك حتى تباركني، فباركه، إلى غير ذلك مما ذكروه.

فتبيّن من بعد أَنَّ يَعْقوب عليه السلام كما يزعمون أَنَّهُ صارع الله تعالى، فَرَبُّ للأسف الشديد يُصَوِّرُ بهذه الصورة، أَنَّهُ على صورة إنسان، وَأَنَّهُ يُهَزَّمُ، ولا يملك من أمره شيئاً؛ حتى لا يُفَكُّ أسره إِلَّا بتلبية مطالب خصمه، ونحو ذلك مما دُكِرَ من الأباطيل. إلى غير ذلك من تشبيه الله تعالى بخلقه: أَنَّهُ ينزل في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا بذاته، وأخذوا بهذه الروايات؛ زعمًا منهم أَنَّ الله تعالى في السماء، وهذه عقيدة نصرانية، أخذوها من أهل الكتاب.

وللأسف الشديد أَنَّ هذه الفكرة انطلت على طائفة من أتباع هذه الأمة، فأدّى الأمر إلى تشويه حقيقة تنزيه المولى تعالى؛ لِأَنَّ هذا يُنافي العقل، وينافي العلم، فَأَتَى للعقل الإنساني أَنْ يقبل بأنَّ إِلَهًا ينزل في الثلث الأخير من الليل، وحين يوشك الثلث الأخير على الانتهاء يرتفع إلى السماء، مع أَنَّ الليلَ مُطَبَّقٌ على الأرض، لا يزول عنها أبدًا؛ لِأَنَّ قِسْمًا من الأرض فيه نهار، والقسم

المقابل فيه ليل، وهما يتتابعان، ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ
النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الزمر: ٥]، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١].

فلا يغيب أحدهما عن الكرة الأرضية؛ فحين يدخل ثلث
الليل الأخير في بقعة فإنه يرتفع من أخرى، فكيف يكون هذا
الارتفاع والانخفاض لهذا الإله، الذي لا يزال يتحرك جيئة وذهاباً
من الأرض إلى السماء؟!

وكيف يزعمون أنه في جهة العلو، وهو لا يزال في الأرض؟!
وما الذي يحتاجه المولى تعالى؛ حتى ينزل إلى الأرض
وهو ﷻ بكل شيء عليم؟! وبكل شيء محيط؟! ورحمته ﷻ
وسعت كل شيء؟!

فلا يحتاج إلى أن ينزل؛ كي يسمع العباد، فقد انكشفت
له ﷻ الأشياء انكشافاً تاماً، لا يحتاج في علمه بها إلى واسطة،
سواء كانت مسموعة، أو مرئية، أو غير ذلك وهو ﷻ قادرٌ عليها،
لا يحتاج إلى أن ينزل قريباً بالحس؛ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ
يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

فهذا الأمر يؤدي إلى عدم تعظيم المولى ﷻ في النفوس،
ولا شك أن من قرأ الدين على هذا المستوى، وتصور الإله

بهذا الفكر فإنه تنشأ لديه هذه التساؤلات، وهو يرى مَنْ يَتَسَمُّونَ برجال الدِّينِ يخطبون بها في المساجد، ويذكرونها في الكتب، وينسبونها إلى الإسلام؛ فتأتيه مثل هذه الأفكار التي تدعوه إلى التساؤل:

إنَّ كان هذا الإله حالاً في مكان، وهو السماء أو الأرض، أو فوق العرش، مع أنَّ السماوات والأرض جميعاً مخلوقة، فأين كان قبل وجود هذه المخلوقات؟!

فيضطر بعض هؤلاء المتشبِّثين بهذا الفكر إلى الادِّعاء بأنَّ الكون قديم - كما زعم بعضهم - وذلك منافٍ للدِّينِ نفسه، كما ذهب إلى ذلك بعض مَنْ ينتسب إلى الفلسفة من المسلمين؛ اتباعاً لفلاسفة اليونان، وبعض المتكلمين، ونُسِبَ إلى ابن تيمية القول بذلك، فهذا أمر خطير جداً.

فإذن الأمر يحتاج إلى يقظةٍ وأخذٍ بدلالات القرآن، وأنَّ الله تعالى لا يحويه مكان، ولا يجري عليه زمان، وأنه تعالى ليس كمثله شيء، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

أما الشُّقُّ الثاني: وهو ما يتعلَّق بفكر الإرجاء؛ وذلك حين يُنسَبُ هذا الفكر إلى الدِّينِ، وقد كان عند اليهود والنصارى من قبل كما تقدَّم؛ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨].

فكانوا يفعلون ما شاءوا بدعوى سِيُغْفَرُ لَنَا - كما حكى الله تعالى عنهم ذلك -، ولكن الله تعالى بيّن: أَنَّ هذه العقيدة هي التي أدّت إلى تفريطهم في الدين؛ وذلك بتضييعهم حدود الله وَتَجَلُّوهُ، وانتهاكهم لمحارمه جَلَدًا، وهذا أمرٌ صريحٌ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فُرْقًا مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، ثم ذكر المولى ﷺ سَبَبَ ذلك حين قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

فجعل ادّعاءهم، وقولهم: بأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات افتراءً على الله ﷻ، وهو ما صرّحت به آية البقرة، ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

ثم وضع القانون والنظام العام في هذا بقوله: ﴿بِكُلِّ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]، فقرّر أنّ الجزاء من جنس العمل؛ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

وهذا الذي أدّى ببعض هذه الأمة للأسف الشديد إلى أن تَغْتَرَّ بهذا الفكر، وتأخذ ببعض الروايات المنسوبة إلى النبي ﷺ:

بأنَّ مَنْ فعل ما فعل من المعاصي فَإِنَّهُ سَيُغْفَرُ لَهُ، وأنه سيدخل الجنة لمجرد أَنَّهُ يقول: «لا إله إلا الله»، فانقلب الدِّينَ إلى معاصٍ، وتفلَّتْ من الالتزام؛ بمجرد القول.

وهذا مخالفٌ لحقيقة الإسلام ولما كان يدعو إليه النبي ﷺ، ومنافٍ للتَّضحياتِ العظيمة التي قدَّمها الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم -، فلو كان الأمر على هذا النحو لما اقتضى الأمر تلکم المعاناة الشديدة، والتَّضحياتِ البالغة؛ حيثُ قدَّموا أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله، وهاجروا من أوطانهم، بل وحاربوا أهليهم في سبيل الله تعالى.

فأنتى يكون هذا الفكر منسوبًا إلى الدِّينِ الحق، والله تعالى ينفیه عن نفسه في كتابه، ويتوعَّد الوعيد الشديد لمن يفتریه عليه ﷺ؟!

ولذلك حين سرى بعض هذا الفكر في هذه الأمة أفسدها، وهدم حضارتها، ولم تقم لها قائمة بعد عهد الخلفاء الراشدين، ولم تكد تقم للأمة الإسلامية قائمةً على المستوى العام بخلافة راشدة، يقود الأمة فيها خلفاء عدول، يُطَبِّقُونَ شرع الله تعالى، وإنما تحوَّلَتْ إلى ملك عضوض.

وكانت هناك طائفة ممن يتسمَّونَ بالفقهاء، وهم فقهاء السلاطين، يُبَرِّزُونَ أفعال أولئك الملوك الذين يتسمَّونَ باسم الخلفاء، أو غيرهم؛ لِيُثَبِّتُوا لهم بأنهم لا يُخَاسِبُونَ؛ كما ذكر ذلك

طائفةٌ مِمَّنْ كَتَبَ في هذا الموضوع؛ كالذهبي، وابن كثير، وابن تيمية، وغيرهم.

وأنَّ طائفةً من الناس يقولون: بأنَّ الإمام لا حساب عليه ولا عقاب، وأنَّ على الأمة أن تسير في ركابه، وأنَّ مهما ظلم أو جار فلا يجوز الخروج عليه، بل يجب على الأمة السمع والطاعة، ويُنسَبُ هذا إلى هذا الدِّينِ، وأنَّ وُلاةَ الأمر فوق الدِّينِ، وفوق القانون، وفوق الشرع، ونسبوا ذلك إلى النبي ﷺ بأنَّه قال: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»^(١)، وهي فضلاً عن بطلان متنها - لأنها مخالفة للنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة الثابتة عن النبي ﷺ، التي تأمر المؤمنين بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتطبيق العدل على أيِّ أحد كان - هي بجانب ذلك فيها ضعفٌ في إسنادها كما أثبت ذلك الدارقطني، وأنَّ ذلك الراوي عن حذيفة لم يسمع منه، فكيف تُقدِّمُ هذه الرواية الباطلة على النصوص القطعية الكثيرة، التي تُحذِّرُ من الركون إلى الظالم؟! فضلاً عن ارتكاب الظلم نفسه؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، رقم: ١٨٧٤.

وتلكم الفتاوى التي أفتى بها بعض مَنْ يَدْعُونَ الفقه: بأنَّ الحاكم يجوز له أن يقتل ثلث الرعية؛ لأجل استبقاء الثلثين الباقين!!

كيف يقول مسلم بهذا؟! والله تعالى يقول: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

ويُذَكِّرُ في التاريخ - مما هو ثابت بغير نكير - ما صنعه بعض حُكَّام بني أمية في معارضيتهم، وكم سفكوا من الدماء؟! وهتكوا من الأعراض؟! ونهبوا من الأموال؟!!

وكذلك ما صنَّعَهُ بهم مَنْ بعدهم، وهم حُكَّام بني العباس، وما فعلوه أيضًا بخصومهم الآخرين؛ من البرامكة، وغيرهم، فلأجل تثبيت ملكهم كانوا يسحقون مخالفينهم سحقًا، ولا يُيَالُون بشيخ، ولا امرأة، ولا طفل.

وقد ذَكَرَ بعضهم من مناقب الحُكَّام العثمانيين: أنَّ الحاكم منهم كان إذا أراد أن يُوطَّدَ لملكه أنه بعد أن يرث الملك من أبيه فإنه يقتل إخوانه جميعًا؛ حتى لا ينافسوه الملك، وليضمن انتقال

الملك إلى ولده من بعده، وإن كان له جملة من الأولاد فيقتل بعض أولاده؛ لأجل استئثار بعض بنيه بولاية العهد من بعده بسبب قيام بعض المحضيات له من أمهات ذلك الولد؛ حتى يلبي طلبها!!

إلى هذا الحد وصل الأمر، وسَوَّغ بعض الفقهاء هذا الأمر، وكان جملة من الذين يُقْتَلُونَ مِنَ الأطفال، فأى سياسة شرعية تُسَوَّغُ لهم هذا الصنيع؟!

وهؤلاء الأطفال لم يُذْنِبُوا أصلاً، وقد رفع الله تعالى عنهم التكليف، ومظنة قيامهم من بعد، وبغيتهم على ولي الأمر - كما يزعمون - إنما هي مظنة موهومة، وربما يموت ولي الأمر قبل بلوغ أولئك الأطفال أصلاً، فضلاً عن منافاة ذلك للأدلة القطعية من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ؛ والتي منها قوله ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ»^(١)، وحَرَّمَ الجَنَّةَ على القاتل نفسه، وعلى مَنْ قَتَلَ غيره بغير حق.

ويُسَوَّغُونَ هذه التصرفات بمسوغات لا قيمة لها، ويُنسَبُ هذا إلى الدين، ويُذَكَّرُ في الكتب، فتصوَّروا مَنْ يأتي من الناس؛

(١) رواه الترمذي في جامعه، أبواب: الديات عن رسول الله ﷺ، باب: الحكم في الدماء، رقم: ١٣٩٨.

ليجد الدِّينَ على هذه الصورة، فلا شك أنه سيتخذ ذلك ذريعة للتَّنَقُّلِ من الدِّينِ، والوقوع في الإلحاد.

وهذا عين ما صَنَعَهُ مصطفى كمال أتاتورك في تركيا؛ فقد شَوَّهَ صورة الدِّينِ، وتذرَّعَ لذلك بسيرة بعض السلاطين العثمانيين؛ لِيُثَبِّتَ للناس أنَّ الدِّينَ قمعٌ، وفسادٌ، وظُلْمٌ، وليرتكب بعد ذلك الضد والعياذ بالله تعالى، فينشر الإلحاد والكفر، ويُغْلِقَ المساجد ويهدمها، ويمنع من اقتناء القرآن، ويسعى إلى تغيير اللغة العربية في الخطاب، ويمنع الأذان باللغة العربية، ويمنع النساء من الحجاب، ويمنع تعليم القرآن والعلوم الشرعية، ويقوم بأشياء فضيعة جدًا لم يفعلها الغرب نفسه.

ومع كلِّ ذلك فإنَّه لا عذر لهؤلاء - كما تقدَّم - فيما وقعوا فيه؛ وإنَّما أذكرُ ذلك لكي نعرف جذور هذا الأمر؛ حتى نَتَقَيَّهَا، ولنعلم أيضًا كيفية معالجة هذا الموضوع من أصوله، وبالطريقة التي تُنَاسِبُهُ، وحتى لا نغتَرَّ بمجرد المناظرة، أو المجادلة التي يدَّعيها البعض مع الملاحدة؛ فكثيرٌ من هؤلاء لا يستجيبون للحقائق، وإنَّما يُصِرُّون على الباطل، ويُرِيدُونَ الظهور كما هو معلوم.

وكما قيل: «خَالَفَ تُعْرِفَ».

وكما ذُكِرَ عن رجل قُبِضَ عليه وهو يبول في بئر زمزم
والعياذ بالله تعالى فقليل له: ما حملك على هذا؟

فقال: أردت أن أذكر ولو باللعنات!!

فنسأل الله العافية، وكما قيل: «حُبُّ الظهور يقصمُ الظهور».



المحور الثاني: وسائل نشر الإلحاد



هذه الأسباب التي ذكرناها من قبل، وهناك أسباب أخرى كثيرة بلا ريب، وإنما ذكرنا أهمها فيما نحسب إن شاء الله، كيف تُستغل من قبل أعداء الإسلام؛ لنشر الإلحاد؟

بلا شك أن لهم وسائل كثيرة لا نستطيع حصرها؛ كما يقول القائل عن أحدهم:

وكنـت امـراً من جنـد إبـليس فارتقى

بي الدهـر حتـى صار إبـليس من جنـدي

فلو مات قبلي كنت أحسن بعده

طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

فهؤلاء يحملون كيِّداً، وفساداً، وحقداً على الدين أكثر من أساتذتهم، ويتفكِّنون في ذلك، وما نذكره إنمَّا هو نماذج لهذا الأمر؛ وذلك حتى نتنبه لهذه الوسائل، ونحاول أن نحافظ على أنفسنا، وعلى أهلينا وأولادنا؛ حتى لا يقعوا في حبال شياطين الإنس والجن.

الوسيلة الأولى: الإعلام؛

وهو الوسيلة الأولى بلا شك، وذلك بأذرعته المختلفة؛ سواء كانت مسموعة، أو مرئية، أو مقروءة؛ من القنوات الفضائية الآن، والشبكة العالمية للمعلومات، ووسائل التواصل الاجتماعي.

ولذلك بدأ ينتشر الإلحاد مرة أخرى بشكل خطير؛ لأن وسائل الإعلام في السابق - حسب أذرعها، وصورها - كانت لا تستطيع بث الفكرة بهذه السرعة التي وصلت إليها اليوم، ولا يكاد يسلم بيت من ذلك، والتركيز قائم على أمة الإسلام؛ لأن أعداء الإسلام من الملاحدة يُرَكِّزُونَ على الإسلام أكثر من غيره، وهذا ما اعترف به طائفة منهم؛ حيث بَيَّنُّوا أَنَّهُمْ يُعَادُونَ الأديان جميعًا، ولكن يَخْصُصُونَ الإسلام من بينها.

وقد ذَكَرَ شيخنا الخليلي جملةً من الأسباب، أو المزايا التي تدفعهم لمعاداة الإسلام أكثر من غيره، منها:

أولاً: صلابَةُ عقيدةِ الإسلام؛

فعقيدته صُلْبَةٌ، وتقف سدًا منيعًا من انتشار الإلحاد؛ ولا يستطيعون التعلُّب عليها، بل إِنَّهَا تتَكَسَّرُ أمامها كُلُّ رياحهم العاتية، وتتهشَّمُ كُلُّ حُجَجِهِمْ؛ لأنَّ الله ﷻ هو الذي أنزل هذا الدِّينَ الحق، منذ عهد آدم إلى خاتم النبيين محمد ﷺ، وهو

الدِّينُ الْحَقُّ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ مَجَابَهَتَهُ؛ فَلِذَلِكَ يُعَادُونَهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ.

ثانيًا: الإسلامُ دينُ الفطرة:

فهو ينسجم معها، وتنسجم معه؛ ولذلك يُقْبَلُ عليه كثيرٌ من الناسِ مِمَّنْ سَلَّمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فسادِ فِطَرِهِمْ، أو تَعَفُّفِهَا، وهذا أخشى ما يخشاه هؤلاء الملاحدة.

ثالثًا: الإسلامُ وحيٌّ مِنَ اللَّهِ ﷻ:

فقد بثَّه على نبيه ﷺ في مظهر القرآن العظيم، وهذا الكتاب هو المحفوظ من أي تحريف، أو تبديلٍ من بين الكتب السماوية جميعًا، وهذا الشيء يُورِّقُ مضاجعهم؛ لأنَّه يحفظ هذه العقيدة، ويحفظ هذا الدِّينَ جملةً وتفصيلاً؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فلذلك يسعون جَهْدَهُمْ لمحاربة هذا الدِّينِ، ولإبعاد النَّاسِ عن هذا القرآن؛ لأنَّهم لم يستطيعوا تحريفه، وتبديله.

رابعًا: الدِّينُ يسعَى بعقيدته وشريعته إلى رقيِّ أصحابه:

فالمُتَمَسِّكُ به عقيدةً وشريعةً يكون على درجةٍ من الكمال البشري قَدَرَ اقترابه من الله ﷻ، وفيه مِنَ المحاسن الكثير ممَّا يدعو الناس - من أهل العقول، والعلماء، والفلاسفة - إلى

الدخول فيه، والحث على دخوله، وهذا ما أوقع بعض الملاحدة الذين كانوا يعادونه في هذا الأمر؛ فلذلك هم يَتَخَوَّفُونَ منه.

خامساً: الإسلام يُعَادِي الظلمَ، وينشرُ العدالةَ الاجتماعيةَ:

وهم لا يريدون هذا، وإنما يُريدون أن يفتحوا طوفاناً من الفساد والظلم، ويُسَوِّغُونَ ذلك، والإسلام لا يرضى بهذا الأمر، فلذلك يحاربونه؛ لأنَّهُ ضد مصالحهم المزعومة في هذه الحياة الدنيا؛ فهو يُوقِفُ هذا الفساد، ويمنع استعبادَ العباد، وإنما يُعَبِّدُ العبادَ لله ﷻ وحده؛ فلا يركع الإنسان، ولا يخضع إلا لمولاه الخالق ﷻ، لا إلى مخلوق مثله أيًا كان.

سادساً: الدِّينُ يربطُ الإنسانَ بالقيم والأخلاق:

فهو دين الرحمة، ودين الحياة، ودين الغيرة، ودين الكرم، وهؤلاء الملاحدة تَجَرَّدُوا من إنسانيتهم، وتَجَرَّدُوا من قيمهم وأخلاقهم؛ فلا يجعلون للإنسان قيمة، ولا يرحمون ضعيفاً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، وإنما يلهثون وراء شهواتهم، فيأبون كل ما يكبح جماح نفوسهم الخبيثة، ويريدون الانطلاق دون قيود، ولذلك يُؤَيِّدُونَ الإباحية، وأنواع الفساد؛ لأنهم هم يحاربون الإسلام.

وهذا ما تمجده أفواه قاداتهم؛ سواء كانوا سياسيين، أو مفكرين - في زعمهم -: أنهم يريدون المحافظة مثلاً على القيم الغربية،

ولذلك يريدون إيقاف مد الإسلام؛ لأنه سيقضي على هذه القيم التي يتمسكون بها، وما هذه القيم التي يدعونها؟!

إنهم يعنون بذلك شرب الخمر الذي يحرمه الإسلام، والزنا الذي يحرمه الإسلام، والتبرج الذي يحرمه الإسلام، فهم يريدون هذه الحرية المطلقة، ويريدون الاستمراء على الكذب، واحتلال الدول، ونهب ثرواتها، واستعباد شعوبها.

وحين تُشرق شمس الإسلام عليهم سينكشف غوازمهم، وتظهر مساوئهم، وهم لا يريدون الفكاك عمّا ألقوه؛ لأنّ الإنسان إذا ألف شيئاً تطبّع به، ومن الصعوبة بمكان أن يتخلّى عنه.

فإذن: الإعلام يسوّغ للإلحاد، وهذا له طُرُق، ومظاهر كثيرة، سواء كان ما يتعلق بالفكر، أو بالفساد؛ فكل ذلك يدعو إلى الإلحاد، فينشرون الكفر بالله تعالى، والتشكيك في الدين، والقدح فيه، والسخرية بأحكام الدين، والاستهزاء بالعلماء الربانيين.

ومن ضمن ذلك: الاستهزاء بالله ﷻ، والاستهزاء بالقرآن الكريم، والاستهزاء بالرسول ﷺ.

ويدخل في سياق ذلك ما يُعرف بالصور المسيئة للنبي ﷺ في الدنمارك، وغيرها.

ويفعلون ذلك بدعوى حرية الإعلام، وحرية الرأي والتعبير،

ويحمون مَنْ فعل ذلك، وكل هذا الأمر بلا شك قد يؤثر في نفوس الضعفاء.

ومسألة الأفلام والمسلسلات التي يبثونها في هذا المجال تؤكد هذا الأمر، وللأسف الشديد يتأثر بذلك الأطفال قبل غيرهم فيما يُعرَف بالرسوم المتحركة، أو الأفلام الكرتونية، وللأسف أنها تُبث إلى بلاد المسلمين، وفي وسائل إعلام المسلمين، وفيها عبارات تُدس دسًا، وتارة تكون ظاهرة، فبدل كلمة الإله تذكر كلمة الآلهة، ويُصَوَّرُ الإله على أنه يجلس في السحاب، ويُصَوَّرُ الإله بأنه ظالم غاشم، وبأنه على صورة بشر، ويتصارع مع الناس، ويُرسَّخ مفهوم الشرك بالله ﷻ، وأن الآلهة يتنازعون، إلى غير ذلك من السخرية بالدين، أو الجرأة على الله ﷻ بأنواع السب، والشتم.

أو يكون ذلك بتصوير بعض الشخصيات الإسلامية بصورة مقززة؛ لأجل تنفير الناس من الدين، أو يكون ذلك بنسبة بعض الجرائم إلى الإسلام، وإصاقها به فيما يُعرَف بالعمليات الإرهابية، وأن هذا هو الإسلام.

وقد استطاع مَنْ وراء هذا الإعلام - وهم اليهود، وغيرهم - أن يُؤثِّبوا الناس في العالم بشكل كامل تقريبًا إلا بعض بلاد المسلمين؛ فهناك معاداة للإسلام تظهر في آسيا، فضلًا عن أوروبا، وأمريكا بشمالها وجنوبها، وكذلك في أفريقيا، إلا قليلًا من الناس ممن لديهم عقل، أو روية، أو اختلط بالمسلمين.

بل قد انطلى هذا الأمر على بعض الأنظمة الإسلامية التي تحكم بلاد المسلمين، أو أن هؤلاء يعرفون الحقيقة، ويتذرعون بهذا البعع كما يقولون؛ لأجل الوصول إلى مطامحهم الشخصية؛ وذلك بضرب الدعوة الإسلامية تحت شعار محاربة الإرهاب كما يفعل الغربيون.

الوسيلة الثانية: الإغراء بالمال والجاه:

وهذا أمرٌ معلوم منذ القدم؛ تمامًا كما صنع فرعون مع السحرة حين طلبوا منه؛ ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿ [الأعراف: ١١٣ - ١١٤]، فوافقهم على المال، وأعطاهم فوق ذلك الجاه؛ حتى يكونوا معه، ويوافقوا على باطله.

فهذا أسلوبٌ يفعلُه الطغاة والمفسدون قديمًا وحديثًا، ولا شك أن دعاة الإلحاد يفعلون هذا أيضًا؛ فلا نستغرب أن يقوموا بذلك.

وأذكرُ قبل مدة أنني كنت أتابع إحدى النساء اللاتي يتزعمن الحركة النسوية العربية في بلاد العرب والإسلام، وقد هزبت من وطنها بعدما أُقيمت عليها دعوى ردة عن الإسلام؛ بسبب استهزائها بالله تعالى، وبقيم الإسلام، وإنكارها ما هو معلوم من الدين بالضرورة، فإذا بها تتحدث بأنها استقبلت في أمريكا،

وبأنها تُدرّس في الجامعات الأمريكية، وذهبت إلى جامعات
أخرى أيضًا في أوروبا، وتُدرّس الفكر الإسلامي!!
فتصوّروا ما هو الفكر الذي تُدرّسه المرأة التي تُحارب
الإسلام؟!

ألفَت عشرات الكتب، وقامت بالعشرات، وربما المئات من
المقابلات التي تهجمُ فيها على الحجاب الشرعي!!
وتُطالب بتعدّد الأزواج؛ كما أن الرجل له الحق في تعدّد
الزوجات!!

وتريد رفع الطلاق عن الرجل!!

وتريد مساواة المرأة في الميراث!!

وغير ذلك من الأمور العظيمة، المصادمة للنصوص القطعية
التي تُطالب بها!!

والشاهد هنا أنها وَجَدَتْ مأوى عند طائفة ومَن يريدون
تشجيعها على الإلحاد، وكم من المنظمات المشبوهة التي تعمل
في بلاد الإسلام تحت ستارات مختلفة؛ من جمعيات، أو
نقابات، أو أحزاب، وما ذلك إلا وجه سياسي؛ لتغطية التمويل
الذي يأتيها من الشرق، أو الغرب من قبل أعداء الإسلام؛ لنشر
الفكر الإلحادي في بلاد المسلمين، فهم يجدون الدعم لذلك.

وربما يقومون بانقلابات في بعض البلاد الإسلامية على السلطة القائمة - بغض النظر أيضًا إن كانت سلطة ظالمة غاشمة، ولكنها لم تصل إلى درجة في إنكار الدين كله ومحاربته -، فتجد الدعم لمثل الحركات من قبل بعض الدول، أو الأنظمة التي تواليها؛ لأجل الاستيلاء على السلطة بالسلاح، وبالأجناد، وبالمال.

وهذا معلوم؛ فقد انقسم العالم قبل سنين إلى فريقين: فريق يتبع الاتحاد السوفيتي، وفريق يتبع الفكر الغربي، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، وإن كانت هناك بعض الدول التي وقفت في الوسط فيما عُرف بحركة عدم الانحياز.

فإذن هناك دعم يتلقاه أتباع هذه الأنظمة المختلفة، وبسبب حب السلطة، وحب المال لا يبالي بعض الناس أن يكفر بالله تعالى، وأن يعتنق أي كُفر، وأي فكر، ولو لم يكن مقتنعا به، وربما يؤدي ذلك إلى نشر هذا الفكر في الناس، مع أن بعض هؤلاء في حياته الخاصة يلتزم ببعض القيم مع أنه - سبحانه الله العظيم - يقوم بنشر ما هو أشد من ذلك، أو يطالب الناس بفعل ما هو أشد من ذلك في حياتهم العامة.

الوسيلة الثالثة: بثُّ السُّعارِ الجنسيِّ والفسادِ الخُلقيِّ:

فمما هو معلوم أن الترف يؤدي إلى التلف، وهؤلاء لا يكتفون بهذا الأمر - أي: بتشجيع الناس على حياة البذخ،

والدَّعة، والخمول، وحب الدنيا، وإيثارها على الآخرة -؛ بل يُشَجَّعون في الناس هذه النَّعْرَةُ الحيوانية، ولذلك كان معتمد الملاحظة نظرية داروين؛ لأنَّ داروين يعتبر الإنسان حيوانًا، أو أنَّه تطوَّر من حيوان، ولذلك تغلب عليه النزعة الحيوانية من الغضب، والشهوة، والميل إلى الأرض، وعدم المبالاة بعواقب الأمور.

ولأنَّه يعلم أنَّ الحيوان غيرُ مكلفٍ - حتى عند أتباع الأديان المختلفة - يريد غرس التَّفُلُّتِ من النظام، ومن الأخلاق، وهذا الأمر لا يقف عند هذا الحد؛ فإنَّ الإنسان يكون أشدَّ من الحيوان الأعجم إذا أُطْلِقَ له العنان، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ ﴿١﴾ أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى ۚ ﴿٢﴾ أَوَلَيْكَ كَالَّذِينَ نَافَعُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن مَّا نَفَعُنَا آلَ يَاقُونََ وَكَانُوا مُسِيئِينَ ۚ ﴿٣﴾﴾ [العلق: ٦ - ٧]، ﴿أَوَلَيْكَ كَالَّذِينَ نَفَعْنَا آلَ فِرْعَوْنَ إِذْ يَمُوتُونَ فَيَرْثُ رَبُّكَ آلَهُمْ وَهُمُ الْعَاقِلُونَ ۚ ﴿١﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فالإنسان حينما يُطْلَقُ لشهوته ولهواه السَّرَاحَ ويدفعها فإنَّه لا يكاد يقف عند حد، ويفعل أشياء ينبو، ويرتفع عنها الحيوان؛ لما بقي فيه من فطرة؛ ولما أودع الله تعالى فيه من غريزة.

فتجد بعض الحيوانات مع تقادم العصور، واستمرار السنين إلَّا أنَّها تحافظ على ما فَطَرَهَا الله عليه؛ فالقط أو الهر حينما يقضي حاجته فإنَّه يحاول دفنها، والشاة حينما تقضي حاجتها فإنَّها تقعد؛ حتى تكون قريبة من الأرض.

وهكذا بعض الحيوانات حينما تريد أن تقيم بعض العلاقات الجنسية الحميمة فإنَّها تَتَوَارَى عن الأنظار.

هكذا في بعضها على الأقل، ففيها شيء من الحياة.

ولكن هؤلاء الملاحدة حين يُطْلَقُونَ السُّعَارَ الجنسي؛ فإنهم لا يقفون في ذلك عند حد، وإنما يفتحون الباب على مصراعيه، ولذلك اعتمدوا نظرية سيغموند فرويد فيما يتعلّق بالغريزة الجنسية، والعلاقات بين الجنسين، وفرويد مثلاً يعتبر الغريزة الجنسية هي التي تتحكّم في تصرف الإنسان، ويجعل علاقة الأب بابنته علاقة جنسية والعياذ بالله، وعلاقة رضاع الطفل الصغير وهو يولد مِنْ بطن أمه بلثم ثديها بأنّ ذلك من الجنس والعياذ بالله.

ولذلك هو يُصَنَّفُ الحياة كلها على أنّها جنس، وأنّ هذا أمرٌ طبعي يجب فيه فتح الباب للإنسان، ولا يرى وضع أي حدود في العلاقة بين الجنسين، وإنّما يسعى إلى هدم أي فاصل بين الذكور والإناث؛ وأنّ عدم القيام بذلك يؤدّي إلى الكبت الجنسي، والكبت الجنسي يترتب عليه الوقوع في أمراض نفسية، وذلك إمّا أن يؤدّي إلى الانتحار، وإمّا إلى نقيض هذا الكبت، وهو الانفلات.

ولذلك لا مانع عند فرويد من أن يجلس الشاب إلى الفتاة؛ ليتبادلا الحديث، ويتطلّع كل واحد منهما إلى مفاتن الآخر، وأنّ يقوموا بعلاقة جنسية، ولو كان في غير إطار الزواج، ويفتحون المجال لما يعرف بالمراهقين - أي: دون السابعة عشرة، أو

الثامنة عشر في قوانينهم، أو عُزْفهم، وإن كانوا بالغيث حسب الفطرة في أغلب الأحيان بظهور علامات البلوغ فيهم - لممارسة الجنس، والرذيلة فيما بينهم، فلا يُحَاسَبُونَ على ذلك، ويعتبرون ذلك من تفريغ الشهوة؛ لأنها أمرٌ ضروري للإنسان، كالأكل، والمشرب، والسكن، واللباس.

والملاحدة يَتَبَنُّونَ هذا الفكر؛ ولذلك يسعون لنشر الفساد الخُلُقِيِّ، لما يترتب عليه من الوقوع في الإلحاد؛ لأنَّ الذي يَتَّبِعُ شهوته في الجنس لا يقف عند حد، فيكون أسير الشهوة.

وكما ذَكَرَ شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - عاقبة هذا الأمر في مقدمته على جواهر التفسير في الجزء الأول؛ حين ذكر الإعجاز التشريعي، والإعجاز الخُلُقِيِّ في القرآن الكريم، وذكر: أنَّ الغرب ونتيجة اتباعهم لهذه النظريات الفاسدة البالية وقعوا فيما لا تُحْمَدُ عقباه؛ بحيث لم يقف فسادهم عند حد.

وَذَكَرَ أَنَّهُ أَطْلَعَ على خبرٍ في صحيفة: أنَّ رجلاً أمريكيًّا اغتصب أكثر من ثلاثين طفلاً، ثم قتلهم، فهذا خلاف ما يدَّعيه فرويد: أنَّ هذا اللقاء بين الذكر والأنثى، وتبادل الحديث، وتَطَلُّعُ كلٍّ منهما على مفاتن الآخر يؤدي إلى تهذيب الغريزة الجنسية؛ إذ لم يقع ذلك، بل فَتَحُ المجال يؤدي إلى مجاوزة الفطرة ومعاكستها، فبعض الرجال لا يكتفون بالنساء، وإنما يعتدون على الرجال، ويقومون بممارسة الشذوذ الجنسي، وهو ما يُعْرَفُ

عندهم اليوم بكلمة ألطف، وهي المثليين، حتى أنهم لا يسمحون بإطلاق كلمة الشذوذ على هؤلاء الذين يمارسون هذه الفاحشة والعياذ بالله، فلم يكتفوا بذلك؛ ليقوموا برزء الأطفال كذلك في شرفهم، وعفتهم، وكرامتهم.

وهذا أمرٌ أيضًا وقعت فيه بعض النساء؛ وذلك بممارسة السحاق فيما بينهن، وأصبحت هناك عمليات جماعية؛ لممارسة الفاحشة والعياذ بالله تعالى.

فهذا الذي نتج عنه فتح هذا الباب، وهم يعلمون أن هذا سبيلٌ ضعف كثير من الشباب؛ ولذلك يُحاوِلُون إفساد الشباب عن طريق تشجيعهم على هذا المجال، وذلك بنشر التبرُّج، وإباحة الاختلاط بين الذكور والإناث دون قيود أو ضوابط، وكذلك الخلوة بين الأجانب من الرجال والنساء غير المحارم، إلى غير ذلك؛ من نشر الأفلام، والمسلسلات الإباحية، والمجلات الإباحية.

وأذكرُ أنني كنتُ في بريطانيا أذهب إلى دكانٍ قريب من البيت، فكان يُعرضُ بعض الصحف والمجلات التي تُنشرُ في تلك البلد أمام العملاء هكذا، وفيها بعض الصور تنكشف فيها المرأة بصورة على كامل الغلاف، وليس عليها قطعة ثوب والعياذ بالله تعالى، بينما يرتاد ذلك المكان رجال، ونساء، وأطفال.

فهكذا يقتلون المروءة، والحياء، والغيرة، ويُعَكِّزون فطرة الأطفال، وينشرون الفساد، فما عسى أن يتصرف شابٌ تثور فيه شهوته في عنفوان الشباب، وهو يفتح عينيه على طوفان من التَّبْرُج والعري، ولذلك تكثر عندهم جرائم الاغتصاب مع الحرية التي يزعمونها.

وَأَذْكُرُ أَنِّي عندما كنت في بريطانيا فتحت الموقع الرسمي لـ Home Office وهو ما يُعْرَفُ بوزارة الداخلية، وذكروا في ذلك العام، أي: قبل خمسة عشر عامًا من الآن: أَنَّهُ اغْتُصِبَ في بريطانيا في عام واحد مئة وثمان وستون ألف امرأة، هذا ممَّا أَطْلَعْتُ عليه بنفسِي، وهذا الذي أُثْبِتَ، أو بَلَّغْتُ عنه أولئك النساء المغتصابات.

وَأَذْكُرُ أَنِّي حضرت محاضرة لأحد علماء النفس في الجامعة، وتكلَّم عن الجريمة، وَذَكَرَ في دراسته أَنَّ نسبة الجرائم التي يُعْلَنُ عنها إنما هي ربع الحقيقة فقط في العدد، أي: ٢٥٪، وذكر أسبابًا كثيرة لذلك، ومنها أَنَّ كثيرًا من المجني عليهم يخشون من الإبلاغ عن الجناة؛ خشية الانتقام منهم، أو أَنَّهُم لا يثقون بالنظام الأمني، أو أَنَّهُم لا يثقون بالنظام القضائي، أو لأنَّهُم لا يعرفون حقوقهم، أو لغير ذلك من الأسباب، وعدم المبالاة.

فهذه الأحداث التي تُذَكِّرُ إنما هي جزء بسيط من الحقيقة.

ولذلك فشعار الإلحاد هو الإباحية المطلقة، فليس عندهم شيء من الخصوصية؛ فالمرأة كلاً مستباح عندهم، والعلاقات الجنسية مفتوحة، ولا يعترفون بقداسة الزواج، ولا يقيمون للأسرة وزناً.

فلا نستغرب بعد ذلك أن يتبعَ هذا الفكرَ بعضُ مرضى القلوب من أتباع الشهوات، ويُمَجِّدُونه، وَيَدْعُونَ إليه؛ لأنهم يريدون تحقيق شهواتهم من هذا الفكر الفاسد العفن.

الوسيلةُ الرابعةُ: القهرُ والتسلُّطُ:

وهذا ينتج عن طريق الدول التي تتبنى هذا الفكر، أو الأنظمة، أو بعض المنظمات، أو الأحزاب، أو غير ذلك.

سواء كانت ظاهرة أم خفية، فالظاهر منها معلوم، ولكن الخفي منها ما يتبع بعض الأجهزة المخابراتية الخفية، أو المنظمات الإجرامية المعروفة في هذا المجال، وذلك حين يتسلطون على عباد الله تعالى بالقهر، والظلم؛ بالقتل، والتعذيب، والتهديد، والتجوير، والإرهاب، والطرْد، والتهجير؛ لأجل إرغام الناس على قَبُولِ فكرهم.

وذلك كما هو منشور ومعلوم عن فعل الاتحاد السوفيتي؛ حين حكم هذا النظام الشيوعي، وإبَّان حكمه ما كان الناس يجروون على القيام بذلك.

وهذا الأمر لا يقتصر على هؤلاء الذين أظهروا إلحادهم، بل النظام العلماني الرأسمالي لا يقل عنه ضراوة أيضًا؛ فإنهما وجهان لعملة واحدة، فهم يستعملون القهر، والسلطة الظاهرة والباطنة؛ لأجل دفع الناس إلى الكفر بالله ﷻ.

وما حدثت الحرب العالمية الأولى والثانية؛ إلا نتيجة الصراع بين أصحاب هذه الأفكار والعياذ بالله، وكان ضحاياها أكثر من خمسين مليون شخصًا في الأرض، وكثيرٌ منهم أبرياء، لم ينخرطوا فيه هذه الجيوش، ولكن قُتلوا - كما يُقال - بدم بارد، وكم هُجّر من المسلمين، وقُتلوا؛ لأجل إرغامهم.

بل أُقيمتْ لهم محاكم تفتيش؛ لينسلخوا عن دينهم كما كان من الصليبيين في الأندلس بعد أن قضوا على الممالك الإسلامية الضعيفة المتفرقة؛ لأنها تَحَلَّتْ عن التمسك بالدين حقيقة، وبقي لديها الاسم فقط، أو بعض المظاهر، فغرقت في الترف، والخلافات الداخلية، فأطمع أعداءها فيها، وقُضي على آخر مملكة، وهي مملكة غرناطة، واستُولِيَ على قصر الحمراء، وكان ذلك سنة ١٤٩٢م، وهو نفس العام الذي ذهب فيه كرسنوفر كولومبس إلى أمريكا، ورجع بالغنائم، وقطع البحر.

فهؤلاء يفعلون هذا الأمر؛ لأجل إرغام المسلمين على ترك الإسلام، كما كان منهم في محاكم التفتيش هناك.

وُقِيلَ أيضًا الكثير من الناس أيام الحروب الصليبية باسم الدِّينِ، وكذلك في الصين، وفي الاتحاد السوفييتي، وفي أوروبا، وفي إفريقيا، وفي أمريكا، ولا تكاد تخلو بلادٌ من تسلط هؤلاء؛ إما عن طريق السلطة القائمة، هكذا علنا، بالقتل العلني؛ حتى في ملاعب كرة القدم، أو في السجن تحت التعذيب، أو دون أيِّ تهمة، وإنما بالتلفيق، وقد يكون ذلك عن طريق بعض الأجهزة الخفية؛ كما يعرف بجهاز (KGB)، التابع للاتحاد السوفييتي السابق، وبعض الأجهزة الأمنية الأخرى، التي لا زالت تقوم بعملها إلى الآن، ولهم في ذلك أساليب كثيرة.

ومنها أيضًا الابتزاز فربما يقع بعض مرضى القلوب من المسلمين في خطأ معين - ربما بسبب ضعف إيمانه - فيُصَوِّرُونَهُ، ويهدِّدُونَهُ إن لم يطاوعهم فيما يريدونه فإنهم سيفضحونه على الملأ؛ فينقاد إليهم، ويُعلنُ الكفر، وربما يتسَنَّمُ السلطة فيفعل ما يريدون.

وهذا من أساليبهم الرخيصة كما هو معلوم.

وكما قلتُ: لست هنا أعتذر لأحدٍ، أو لأَسَوِّغَ له، وإنما أذكرُ وسائل هذا، ولكن المؤمن يبقى على إيمانه، ويثبت على الدِّينِ الحق مهما كان الأمر، وإنما له أن يمارس التَّقِيَّةَ بلسانه، أو بفعله بضوابط شرعية معروفة، وليس المقام مناسبًا لذكرها الآن.

أما العقيدة في القلب، ولا يمكن التنازل عنها بحال، وليس في ذلك تقية مطلقاً؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]، فهذا الذي ينسلخ من إيمانه لا يُعذَّر عند الله تعالى.

الوسيلة الخامسة: التربية والتعليم:

فهؤلاء أصحاب فكر، وينطلقون من عمل مؤسسي، لا على طريق العشوائية، فيُنظِّمُون أنفسهم؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ هذا النظام الذي يقومون به هو الكفيل بتحقيق أهدافهم.

وهذا الأمر صحيح من حيث الإجمال؛ فالعمل المؤسسي لا شك أنه أفضل من العمل الفردي، أو العشوائي؛ لأنَّه يكثر فيه الإنتاج، ويكون بأقل جهد، وأقل وقت، ويكون فيه تعاون وتكافل، ويكون فيه شورى، وتخطيط، وإدارة، وقيادة، وأتباع، ولا شك أنَّ هذا يؤدي إلى استمرار العمل؛ فلا يتوقف بتوقف فرد، بحياته أو موته، بصحته أو مرضه، لاعتناقه هذا الفكر أو تخليه عنه، فهم يعرفون هذا الأمر، ولذلك يسعون جهدهم لتحقيقه.

ولا شك أنَّ من ضمن الوسائل لاستمرار هذا الفكر نشر التربية والتعليم، والقيام بذلك؛ ولذلك بنوا الحضانات،

والمدارس، والكلّيات، والجامعات، وأنشأوا المراكز البحثية؛ لأجل دعم هذا الأمر حتى يترسخ، فيزُبُون الأطفال على هذا الفكر منذ نعومة أظفارهم، فيفسدون فطرتهم، مع أن فطرة الإنسان على الدين الحق؛ كما يُعَلِّمُ بالدليل، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وكما قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»^(١)، والدراسات تُثَبِّتُ هذا الأمر، في أمريكا، وفي غيرها.

وقد ذَكَرَ شيخنا الخليلي في كتابه مصرع الإلحاد طائفةً من هذه الدراسات، التي تُثَبِّتُ بأنَّ الأطفال ينشأون على الإيمان بالله تعالى، واليوم الآخر، وَمِنْ الصَّعْبِ بَثُّ فِكْرَةٍ مُخَالِفَةٍ لِدَلَالَةِ نَفْسِهِمْ، بل يُنَكِّرُونَ على غيرهم لو رأوا منهم غير ذلك، وهذا ما لا تسعى إليه هذه الأنظمة الإلحادية؛ ولذلك تحاول غرس الفكر الإلحادي في الأطفال منذ الصغر؛ لكي يوالوها، ولكي يكونوا مُضْحَكِينَ لأجلها.

وفعلًا، وبسبب هذا النُّظام استمرت الشُّيُوعِيَّةُ لعشرات السنين، ولم تتوقف، إلى أن أَدَانَ الله تعالى انقضاءها بقوته،

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل

لا بقوة البشر، وإن كانت هناك قوى من البشر حاولت ذلك، كما قام الأفغان بمحاربة الاتحاد السوفيتي، وانتصروا عليه، وكان ذلك إيذاناً بإسقاطه فكرياً، ولكن النصر من عند الله ﷻ؛ ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال ١٠].

والله ﷻ هو الذي ينصر مَنْ يشاء من عباده، ويذل مَنْ يشاء من عباده؛ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنَزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وذلك مع عدم التهاون في الأخذ بالأسباب؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وهؤلاء يعلمون هذا الأمر، ولذلك يُرْكُزُونَ على التربية والتعليم، ونشروا بذلك هذا الفكر، وهذا ما يذكرونه في مذكراتهم.

وَأَذْكُرُ أَنَّ شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - ذَكَرَ أيضاً في مصرع الإلحاد كلاماً عن أحد العملاء المنشقين عن الاتحاد السوفيتي: أنه ذَكَرَ أَنَّهُ بعد سقوط القوة العسكرية فَإِنَّ الطريق للتأثير على الآخرين يكون بالقيام بنشر الفكر على أربع مراحل:

وذكر المرحلة الأولى وهي إسقاط القيم والأخلاق، ويدخل في ذلك السخرية بالدين، والاستهزاء بوجود الدين، وإفساد المدارس خُلُقِيّاً، ونشر الأفكار الإلحادية، إلى غير ذلك، وذلك عن طريق وسائل الإعلام، وغيرها.

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية يكون فيها الوقوع في أزمة؛ نتيجة هذا الصراع الحاصل بين الناس، فتوجد أفكار مختلفة، وتنازع، وتُذكى العصبية القبلية والحزبية، ويختلف النُظام، أو المجتمع.

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة وهي الفوضى، وقد تقع المجتمعات في حرب أهلية بسبب ذلك، فلا يكتفون بمجرد التنازع اللفظي والخلافات، وإنما ينتقلون إلى الحرب الأهلية، وربما يستجدون الآخرين للتدخل فيما بينهم، وكل فريق يستجدي بقوة، فعندما ينزل أولئك الأعداء ينزلون بقوتهم، ويستولون على الأمر.

ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي تلميع بعض الشخصيات، التي هي مقتنعة بهذا الفكر الإلحادي، والتي هي عَمِيلَةٌ لهؤلاء الأعداء، فتُنصَّب على الناس؛ لتحكمهم، ولتنشر الفكر، فيكون عن طريق ذلك الاستيلاء على مُقَدَّرَاتِ الأمم، لا بالحرب العسكرية الصريحة، التي كانت فيما تقدّم.

الوسيلة السادسة: تعميم اللغة والأدب:

أي: الثقافة، وهذا ما هو حاصل؛ فعندما أرادت فرنسا غزو شمال أفريقيا ماذا صَنَعَتْ؟!

نشرت فكرها، ونشرت لغتها؛ لأنّ اللغة ليست مجرد حركة اللسان، وإنّما هي ثقافةٌ وقيمٌ، ولذلك على الدارس للغةٍ معينة أن يتنبه لهذا الأمر.

فمع كوننا نُشَجِّعُ على دراسة لغات مختلفة؛ لأجل نشر الدعوة إلى الإسلام، ولكن في الوقت نفسه نُحَذِّرُ من التأثير بأفكار الآخرين؛ لأنَّ اللغة مطيئة لهؤلاء للوصول إلى قلوب الناس وعقولها، ولذلك قام مصطفى كمال أتاتورك بمنع اللغة العربية؛ حتى يَقْطَعَ صلة الناس بالقرآن، وبحديث النبي ﷺ، وبالتاريخ، والحضارة، وليجعل صلة الناس بأوروبا؛ فاستعمل الحروف اللاتينية.

وهذا عينُ ما قامت به بريطانيا أيضًا في ممالكها المختلفة؛ فَعَيَّرَتِ الحروف المستعملة في الهند من الحروف العربية إلى الحروف الهندية القديمة، أو إلى الحروف اللاتينية، وَغَيَّرَتْ أيضًا الحروف العربية المستعملة في أندونيسيا، وفي ماليزيا إِبَّانَ احتلالها، وجعلت الناس هناك يستعملون الحروف اللاتينية، ويتكلمون اللغة الإنجليزية.

وهذا ما صنعته أيضًا في أفريقيا في اللغة السواحيلية، حتى أَنَّهُ توجد كتابات قديمة كُتِبَتْ فيها اللغة السواحلية في الصحافة العمانية العربية بالحروف العربية، وَتَوَجَّدُ بعض المخطوطات للشيخ ناصر بن أبي نبهان يكتب فيها أسماء بعض الأعشاب والأدوية بالحروف العربية، وهي كلمات سواحيلية، وهذا أمرٌ معروف.

وكذا صنعت فرنسا؛ وذلك فيما يُعْرَفُ بِالْفَرَنْسَةِ، فنشرت اللغة الفرنسية، بل ألزمت الناس بذلك في الجزائر، وفي تونس،

وفي أجزاء من المغرب، وفي غرب أفريقيا، وغيرها من البلاد التي احتلتها، وتغيّر الناس بعد سنين، وتأثّروا بهذا الفكر، وهذا أمر خطير جدًّا.

وتارة لا يلزم ذلك عن طريق تغيير اللُّغة، وإنما بنشر أفكار هؤلاء عن طريق وسائل الأدب المختلفة المعروفة؛ من نحو القصص، والروايات، فكم من كُتّابٍ يوصفون بأنّهم عرب، وبأنّهم مسلمون، أو يحملون أسماء إسلامية، ولكنّهم ينشرون هذه الأفكار، وتأثّروا بهذا الفكر؛ كما هو في الفكر الحدائلي.

فهذا علي أحمد سعيد، المعروف بأدونيس، يكتب بالعربية هو وغيره، ولكن ما الكلام الذي كان يقوله؟ وماذا كان الشعراء الآخرون أيضًا - ممن تأثّروا بهذا الفكر، أو الشعر الحدائلي - يقولون؟ حينما يقول أحدهم: «تُب إلى اللات، ودع عنك الجحود»، نسأل الله العافية.

هو كلام عربي، ولكن فيه تمجيدٌ للكفر، ودعوةٌ إلى الإلحاد، والعياذ بالله تعالى، وتشجيعٌ عليه، وتعظيمٌ للشك، واللا أدريّة، كما يقولون في أبيات إيليا أبي ماضي وغيره.

فهم ينشرون القصص، والروايات؛ لنشر هذا الفكر، ولنشر الفساد أيضًا، من قصص الجنس والغرام، وغيرها، ويبيّنون فيها سمومهم.

الوسيلة السابعة: المسرح والسينما:

وذلك باعتباره داخلًا تحت ما يُسمَّى مصطلح الأدب، والمصطلح المعروف عند الغرب (Arts)، وتدخل في ذلك الفنون، فيستعملون ذلك لنشر أفكارهم.

والآلة والمؤسسة الإعلامية الأمريكية المعروفة بهوليوود لا شك أنها تقوم بدورٍ عظيمٍ في هذا المجال، وقد استطاعت أن تغزو العالم كله تقريبًا، وها هي المؤسسة الهندية بوليوود أيضًا تحاول اقتفاء أثرها.

فهذه المؤسسات تقومُ بنشر هذا الفكر الإلحادي؛ وذلك بالدعوة إلى السجود لأصنام والعباد بالله تعالى، أو بتقديس الطبيعة دون الله ﷻ، أو بعبادة الشيطان، أو بالقدح في الدِّين، أو السُّخرية والاستهزاء به.

أو بتشويه صورة الدِّينِ بِعَرَضِ أفلامٍ تَغْرِضُ محاربة الإرهاب، ويظهر هؤلاء الإرهابيون بأنهم يُصلُّون، وبأنهم يقولون: «بسم الله»، ويقولون: «الله أكبر» حين يريدون تنفيذ العمليات، ويحملون القرآن معهم، ويلبسون العمامة، ويُظَلِّقُونَ اللحي؛ وبهذا تنغرس مثل هذه الصور عند المشاهدين، وتسري فيهم هذه الأفكار حين يُجْعَلُ خلفية للسيطرة على ما يُعْرَفُ بالعقل الباطن، أذنانًا، أو قراءة قرآن حين القيام بمثل هذه العمليات

الخطيرة، والتي يكون من آثارها قتل الناس دون تمييز؛ في مجمع تجاري، أو في مسجد، أو في كنيسة، أو في حالة عرس جماعي، أو عزاء، أو غير ذلك، وكل هذا؛ لأجل تسميم الأفكار بنشر الإباحية؛ عبر المسلسلات، والمؤسسات المختلفة.

ولذلك أدعو المسلمين أن يستقلوا في إعلامهم، وأن يُقدِّروا تأثير الإعلام؛ فإنَّ كثيرًا من الناس إنما يتحرَّكون بقوة الإعلام، وبعض الناس أصبح رئيس دولة، كما في أمريكا؛ لأنَّه كان ممثلًا، وهو رونالد ريجن، فكانت له شعبية.

وهذا الرئيس الأمريكي دونالد ترامب له قناة مستقلة، وبسبب قوته الإعلامية والمالية استطاع أن يُسَوِّقَ لنفسه، وأنَّ يكونَ له أتباع كثيرون، وأنَّ يُسَوِّقَ لفكره؛ ولذلك اختاروه بغض النظر عن بعض الأخطاء التي يمارسها، أو المؤاخذات التي يؤاخذها عليه خصومه، وكل هذا بسبب الإعلام.

وهكذا في البلاد الأخرى؛ فبعض الرياضيين يكونون هم القادة، فالإعلام له أثر كبير جدًّا، ولربما يكون الشخص غير كفؤ، ولكن بسبب إجادته لتسويق نفسه إعلاميًا يفوز في السباق، وهذا الفوز يعني وصوله هو إلى غايته، وإلاَّ فهو خاسرٌ إنَّ لم يكن أهلًا لذلك، وبعض الناس يكونون أكفَّاء، ولكنهم بسبب ضعف تسويقهم لأنفسهم يخسرون السباق.

الوسيلة الثامنة: الصحف والمجلات:

فهي أيضًا تدعو إلى ذلك، ولا أريد الإطالة في هذا، وإنما فقط التمثيل؛ فإن ذلك معلوم، ولذلك هؤلاء يحاولون السيطرة على كل منفذ يقدرّون عليه.

والآن هم يحاولون السيطرة على بعض المؤسسات الإعلامية؛ المسموعة، والمرئية، والمقروءة، ووسائل التواصل الاجتماعي، ويكتبون، وينشرون.

ولا يُستغَرَب أن يكون هذا المجال الذي أكرمنا الله تعالى به مؤدّيًا إلى إغاضتهم، وقد رأيتُ بعض الممارسات من محاولة بعض الناس تشويه شاشة البث، وكتابة بعض الكلمات البذيئة، وهناك مَنْ يكتب بعد ذلك تعليقات مسيئة، وكل ذلك لصدّ الناس عن متابعة هذه الدورة، ونحمد الله تعالى على توفيقنا لنشر الإسلام، ومواجهة هذا الإلحاد؛ ولذلك رأيت وضع كلمة «محق الإلحاد» في بداية الدورة.

الوسيلة التاسعة: التشكيك في الدين وأحكامه:

وهذا أسلوب رخيص، والمولى ﷺ ذكّره في كتابه عن المنافقين، وقبلهم أيضًا ذكّره عن المشركين، وكيف أنّهم يتعاملون مع أنبيائهم ورسُلهم عليهم الصلاة والسلام؛ حيث إنّهم

يُسْكُنُونَ فِي اللَّهِ، وَفِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَفِي السُّبُورَةِ؛ ﴿قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ
بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]، ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ
الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]، إلى آخر الآيات.

أو ما ينشرونه من إشاعات في المجتمع المسلم؛ ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ
يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]، ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ
مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ النَّبِيُّ كَانُوا عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٢]، وكما ذكروا عن
الميتة: «أناكل ميتتنا، وتحرم علينا ما قتلَهُ اللهُ؟!»، أي: أن ما مات
حتم أنفه فهو ميتة حرام، لكن ما قتلوه، أي: ذبحوه، فهو حلال.

فقالوا: كيف هذا؟!

فينشرون مثل هذه الأفكار؛ للتشكيك في الدين وأحكامه.

وقد تبين أيضًا أن بعض الطلبة حين يُبْعَثُونَ إلى البلاد
الغربية أو الشرقية، أو إلى أي مكان - وربما يكون حتى في
البلاد العربية، والإسلامية، وفي الوطن نفسه - يكون هناك من
يقوم بذلك من هؤلاء؛ فلا بد من الحذر منهم.

وَأَذْكُرُ أَنَّ طائفة من طلبة العلم قد تربؤا على يد مشايخ
العلم، وتعلَّمُوا على أيديهم سنين، وحين التحقوا بشيء من
الجامعات، أو الكليات استحوذ عليهم أتباع هذا الفكر،
فأوقعوهم في الإلحاد والعياذ بالله، وهم في البلد، وتأثروا بذلك،
ومنهم من سافر إلى الخارج فتأثر، فنسأل الله تعالى السلامة.

وهذا حرمان من توفيق الله ﷻ؛ ولذلك يجب الحذر من هؤلاء، سواء كانوا داخل البلاد، أو خارجها.

وهذا الأسلوب في التشكيك يلجأون إليه كثيرًا في الآونة الأخيرة، وقد التقيتُ بأحد الطلبة، ممن كان يَدْرُسُ معنا في إحدى الجامعات هنا في البلد، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الأستاذ الذي يَدْرُسُهُمْ يُلقِي عليهم مثل هذه الشكوك، وهو أستاذ غربي أمريكي، ويقدم في بعض أحكام الإسلام، وفي ثوابته، ويُلقِي على الطلبة هذا الأمر، وليس هناك مَنْ يجادله، وربما يخشى الطلبة مواجهته؛ خشيةً مِنْ أَنْ يرسبهم في الامتحان، أو ينقص درجاتهم، وهذا واقعٌ في بلدنا للأسف الشديد، وليس واقعًا من فرد، بل هم جملة.

وَأَخْبَرَنِي بعض الطلبة أيضًا أَنَّ هؤلاء يستعملون طريقة أخرى، وهي التبادل الثقافي بين الجامعات أو الكليات، وبأنَّ طلبةً من أمريكا زاروهم في هذه المؤسسة التعليمية، فكانوا يتكلمون معهم، فإذا بأولئك الطلبة الأمريكيان يقومون ببثِّ الشكوك في الإسلام، وفي البداية هو حوار، والتعرف على لغة الآخر، وإذا رأوا أَنَّ ذلك الطالب منبهر بالغرب، وَيُمَجِّدُ هؤلاء الغرب، يبدأون بطرح مثل هذه الأسئلة على صورة إشكالات نريد الإجابة عنها، وأنت مسلم، وغالبًا ما يكون هذا الطالب ضعيفًا؛ لأنَّه لم يتلقَ تعليمًا كافيًا فيما يتعلق بدينه، وعقيدته.

وللأسف الشديد لا يستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة؛ فيقع في الشك، فيعطونه كتبًا في هذا المجال، أو يدعونه إلى الدخول في مواقع معينة؛ ليتابعها، أو ليقراً فيها، وهناك يتابعه أناس متخصصون في نشر هذا الفكر، وفي الطلبة العرب خاصة.

فيستحوذون على هذا الطالب الضعيف، ويبتئون فيه الغرور، ويُنشئونه على مبدأ العقلانية؛ حتى يترك الآيات، والأحاديث، وكأنه يحيلها إلى النقاش، وهو لا يستطيع الإجابة، وتبرير كل شيء حين يستعمل هذا الأسلوب، فيضعف، ولا يرجع إلى العلماء؛ لأنهم ينفخون فيه الاستقلال، وأن الرجوع إلى العلماء إنما هو إلغاء للذات، وهو نوعٌ تقديسٍ لهؤلاء العلماء، وأنه لا يليق بطالب مثله، ولديه هذا الفكر، ولديه هذا العقل، ووصل إلى المرحلة الجامعية، ويُتقن لغات متعددة، فلا ينبغي أن يكون منغلِقًا وجامدًا، بل ينبغي أن يكون مستقلًّا برأيه، وهكذا يؤثرون عليه شيئًا فشيئًا؛ حتى ينقلب إلى رأيه.

وأذكرُ أنني قرأتُ كُتَيِّبًا صغيرًا للدكتور مصطفى محمود قبل نحو أكثر من ثلاثين عامًا من الآن بعنوان حوار مع صديقي الملحد، يذكر فيه مثل هذا الأمر للأسف الشديد.

وذكر شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - أيضًا عن بعض دُعاة العقلانية: أنه حين نوقش في قوله: بأن الأديان جميعًا على مسافة واحدة من العلم، والبحث، والنقاش، والانتقاد، ونحو

ذلك، وأنها طرقٌ إلى الله تعالى جميعاً؛ فيساوي بين اليهودية، والنصرانية، والإسلام، حينما ناقشه أحدهم، وقال له: فماذا تقول في البوذية والهندوسية؟

أجابه أحدهم: بأنه لا ننسى أيضاً أن الإسلام فيه شيءٌ من رموز الوثنية والعياذ بالله تعالى؛ وذلك لأن في الإسلام يوجد الطواف، وهو دورانٌ حول حجر، وتقبيلٌ لحجر، وفيه سعيٌ بين الصفا والمروة، وهو سعيٌ من حجر إلى حجر، أستغفر الله العظيم!!

فجعل هذا مثالاً على الوثنية في الإسلام، وكذلك التي لا يعلم مغزاها وتعليلها، وأنها غير معقولة المعنى، ويريد بذلك أن يُسَوِّغَ عبادة الهندوس للبقر، وعبادتهم الأصنام، وأن هذه مجرد رموز في نظرهم، وأنهم يعبدون الإله، فبلغ بهم الأمر إلى هذا الحد، والعياذ بالله تعالى.

وكلُّ هذا لأجل إغراء الناس بما يقولونه، أو يعتقدونه؛ لأجل الإيقاع بهم في حائلهم، نسأل الله تعالى العافية.

وطبعاً هم قد يُشكِّكون في القرآن، وقد يُشكِّكون في السنة، ولا يحتجُّون بما في القرآن، وإنما بالعقل فقط، ويُنكِّرون السنة مطلقاً، ويقولون: «لا نحتج إلا بالقرآن»، ويقولون: «نحن قرآنيون»، وكذبوا؛ إذ لو كانوا يتبعون القرآن لاتبَعُوا السُنَّةَ؛ لأنَّ القرآن مليءٌ بالآيات التي تدعو إلى اتباع النبي ﷺ، وتحكيم

سُنَّتُهُ، ولو لم يكن إلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] لكان كافياً، فكيف بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وكيف بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن بَيَّنَّوْا أَنَّهُ هُوَ الْفَعْلُ الْحَقِيدُ﴾ [المتحنة: ٦]، وكيف بقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فهؤلاء يستعملون تارةً مثل هذه الأفكار للقضاء على الإسلام؛ ويزعمون بأن السنة لا تكون حجة بنفسها إلا مما وافقت فيه القرآن، أو أكثدت فيه القرآن، فلا يعترفون بالسنة الْمُخَصَّصَةُ للعموم، ولا المقيدة للإطلاق، ولا السنة التي تأتي مفيدة لحكم غير موجود في القرآن، وبحكم زائد؛ كالختان، والرجم - عقوبة الزاني المحصن -، وكالوتر، ونحو ذلك، فلا يعترفون بذلك، مع أنه قد انعقد عليها الإجماع على مشروعية ذلك.

ولئنما يريدون بذلك هَدمَ هذا الدين، وإلا فأتى لهم أن يتوصلوا دون السُّنَّةِ إلى كيفية الصلاة؟! أو كيفية الزكاة؟! أو كيفية الحج؟! أو غير ذلك من العبادات المختلفة؟! إنما يريدون هم بذلك التَّقْلُتَ من الدين.

وإن أنكروا السنّة فهم مُنكرون للقرآن والعياذ بالله، وإن شَكُّوا في السنّة فهم يُشَكِّكون في القرآن، وهذا على سبيل الإجمال؛ فهذا مبدأهم.

أما قضية التشكيك في حديث واحد، أو رواية واحدة، وهي أحادية، وتَقْبَلُ الكلام؛ أخذًا وعطاءً من قبل أهل العلم، فلا مانع من ذلك؛ فلا زال العلماء المجتهدون المتخصصون في علم الحديث يُصَحِّحُونَ وَيُضَعِّفُونَ، وليس هناك حديث يكون بمنأى عن ذلك، إلا إذا ثَبَتَ تواتره، فما دام ظني الثبوت؛ بأن ورد من طريق واحد، أو اثنين، أو ثلاثة، أو لم تنطبق عليه شروط التواتر فهو مَجْلٌ للنظر فيه سندًا وممتًا.

ولكن ذلك مِنْ قِبَلِ العلماء الربانيين المتخصصين في هذا المجال، وليس بقصد الطعن في الدِّينِ أيضًا، وليس اتباعًا للهوى؛ كما يصنع هؤلاء حينما يُضَعِّفُونَ بعض الأحاديث مفردة، أو يصححونها؛ اتباعًا للهوى.

والأصل أن هؤلاء لا يعترفون بحجية أيّ حديث آحادي، ولكن حين تكون في ذلك الحديث موافقة لما يشتهون فإنهم يذكرونه، ويحتجّون به، وحين يخالفهم لا يُبَالُونَ بطرحه، والاستهزاء به، والسخرية منه؛ كما سخر بعضهم من قيام وصلاة الليل!!

وكما سخر بعضهم من حديث الذبابة، وغير ذلك من الأمثلة.

الوسيلة العاشرة: انتهاك المقدسات:

سواء كان ذلك بالاستهزاء بالله ﷻ، أو برسوله ﷺ، ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]، والمسلم لا يرضى أبداً أن يُعْتَدَى على الله تعالى في حضرته، أو أن يُتْلَغَهُ ذلك، أو أن يُعْتَدَى على رسوله ﷺ بأي وجه من الوجوه، وإنني لأكبر الأمة الإسلامية - والحمد لله - حين انتفضت؛ انتصاراً لنبيها بعدما قام بعض الأقزام بالتفوه بكلام غير لائق في حق النبي ﷺ؛ بدعوى حرية الرأي، وقام جمهور الناس بما يستطيعون من المقاطعة لبضائع تلك البلاد، وهي فرنسا.

وينبغي أن لا يكون ذلك مُقتَصِراً على هذه البلاد، وإنما يتخطاها إلى كل مَنْ يعادي الدِّينَ الحقَّ، ويكيد له؛ فهناك استهزاء بالله تعالى وبكتابه ﷻ، وهناك حرق لآيات القرآن، بل ودُؤس للقرآن تحت الأقدام، وإلقاء له في محل القاذورات، وهناك ما هو واضح أيضاً من إنكار أحكام هذا القرآن.

ولكن بعض الناس - سبحانه الله - يتعاطفون مع أمرٍ معين، ويتساهلون في أمور أخرى، والمسلم إن كان في موضع، وحصل فيه هذا الاستهزاء، أو السخرية بالله تعالى، أو برسوله يجب عليه أن يُنْكِرَ، فإن لم يستطع فعليه أن يقوم من المجلس، وإلا عُذَّ شريكاً معهم ما دام يستطيع القيام، إلا أن يتخذ ذلك تقيّة؛ لخوفه

على نفسه، ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿[النساء: ١٤٠].

الوسيلة الحادية عشرة: قطع الصلة بحضارة الأمة وتأريخها؛ وهذا ما قام به أتاتورك في تركيا، وقامت به فرنسا، وبريطانيا، ولا زالوا يقومون بذلك إلى الآن.

فهذه الجامعات، والكليات، والمدارس، التي نُشِرت في البلاد الإسلامية، سواء كانت عربية، أو غربية، ولكن بطريقة غربية، وتُدْرُس الفكر الغربي، ما الذي يُنتَظَرُ منها؟!

ينشأ الشاب المسلم فيها وهو لا يحسن تلاوة القرآن!!

وعندما أتكلّم أتكلّم عن فئة، أو عن ظاهرة وَقَعْتُ في وقت من الأوقات، وليس كل المؤسسات على هذا النحو؛ حتى لا أعمط أحدا حقّه، ويتفاوت هذا من بلاد إلى أخرى، فلا يزال الكثير من الطلبة المسلمين في البلاد العربية والإسلامية - والحمد لله - يتعلّمون القرآن، ويتلونه، ويحاولون فهم معانيه، ولكن الجرعة مع ذلك في العلوم الدينية ضعيفة، ويجب أن نعرّف بذلك، وأصبح كثير من الطلبة للأسف الشديد ضعفاء في هذا الجانب، وكثير من أولياء أمورهم يحرصون على تلقينهم العلوم العصرية أكثر من تعليمهم العلوم الشرعية؛ من عقيدة، وفقه، وهكذا.

ولست أدعي أن هذه العلوم العصرية غير مهمة، فضلاً عن منعها؛ فالإسلام يدعو إلى الانفتاح، وإلى التعلّم، وجعل الإنسان خليفة الله في هذه الأرض، ودعاه إلى عمارة هذا الكون، شريطة أن يكون ذلك بمنهاج الله تعالى، فما الفائدة من طبيب، أو مهندس، أو عالم في الذرة، أو عالم في أي علم من العلوم التجريبية إذا كان لا يصلي؟! أو إذا كان لا يؤخذ الله تعالى؟!!

فهذا لا يؤمن أن يقوم باستعمال علمه في إهلاك الناس، وهذا ما حدث في أمريكا، وأوروبا، وغيرها؛ فمن الذي اكتشف هذه الأسلحة؟! أسلحة الدمار الشامل؟!!

إنما هم علماء للأسف الشديد، وباحثون، وتُستعمل هذه الأسلحة في إرهاب الشعوب، وفي تدمير الناس، وفي قتلهم، وما قبلتا هيروشيما وناجازاكي عتاً ببعيد.

وما حدث أيضاً من تسرب للإشعاع النووي في حادثة تشيرنوبل في الاتحاد السوفييتي ببعيد، وأدت إلى هلاك كثير من الناس، وإصابتهم بعاثات.

وما يحدث الآن بين بعض بلاد العالم من تهديد بالأسلحة النووية، مما يقض مضاجع الناس ويرهقهم، إنما هو من صنيع الإنسان، إن لم يكن موجهاً بالإيمان.

وما يحدث في المعامل اليوم؛ من محاولة صناعة ما يُعرف بالسوبر مان الإنسان الخارق، وذلك بالتلاعب في الجينات فيما يعرف بالهندسة الوراثية، وظهر ذلك في النعجة دولي كما قيل في اسكتلندا.

ولا زالت هذه التجارب قائمة عند بعض الناس مع منَع منظمة الصحة العالمية، ومنظمة اليونسكو من ذلك، ومحاولة بعض الدول تشريع قوانين تمنع أو تُجَرِّم ذلك.

وهناك بعض الأنظمة لا تستجيب لذلك، وبعض الباحثين والعلماء لا يقتنع بذلك، وبدأوا يستنسخون، ويقومون بالاستنساخ لبعض الأنسجة والأعضاء، وإن كان في هذا فائدة طبية، ولكن يريدون نسخ إنسان كامل، وهم في طريقهم إلى ذلك كما يزعمون، وهذا بلا شك أنه سيؤدي إلى اختلال نظام الكون، واختلال التوازن البيئي، وإلى إفساد الإنسان، وإلى القيام بأشياء خطيرة جداً لا تكاد تخطر على بال.

وقد بدأت بعض وسائل إعلام هوليوود الترويج لمثل هذا الأمر فيما يُعرف بالإنسان الآلي، فضلاً عن هذا الإنسان المستنسخ، وأن هذه الآلة قد تتمرد على الإنسان، وتؤدي إلى القضاء على النوع البشري، فالعلم إذا لم يذكيه إيمان؛ فإنه يؤدي إلى الفساد والعياذ بالله تعالى.

فهؤلاء يريدون قطع صلة هذه الأمة بدينها، وبتأريخها، وبحضارتها، فينشأ الطالب لا يعرف شيئاً عن دينه، ولا يعرف شيئاً عن تأريخه، وعن ثقافته، ولا يعتز بسلفه الماضين، وإنما ولاؤه كله لأعدائه.

ينشأ على لغة عدوّه، ويعرف تأريخ أوروبا، أو أمريكا أكثر من تأريخ بلاد الإسلام.

وربما بسبب ذلك يفتُر ببعض الأنظمة، أو الأفكار الغربيّة؛ كما بدأ بعض شبابنا يتأثر بالديمقراطية، ويظنها الفردوس المنشود، وأنها غاية ما وصل إليه الفكر البشري، وأرقى ما وصل إليه؛ كما ذكّر ذلك فرانسيس فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ، وانبهر بذلك، وقد أتى من شرق آسيا، من اليابان، وأصبح أمريكياً، وتأثر بالفكر الأمريكي الغربي؛ واعتبر النظام السياسي الديمقراطي أرقى نظام عرفته البشرية، واعتبر النظام الرأسمالي في تسيير الاقتصاد أرقى ما وصلت إليه البشرية، وهو إنما يتكلّم عن علمه، ولا يعرف شيئاً عن الشورى الإسلامية، وعن أحكام الإسلام، وربما تأثر ببعض كتابات أعداء الإسلام، ولكن قدّر الله تعالى أن يعيش فرانسيس فوكوياما إلى عام ٢٠٠٩م، ويشهد الأزمة المالية العالمية، ويُجرى معه لقاء؛ ليعترف فيه بوجود خلل في النظام المالي الرأسمالي الغربي، وأنّ الأمر بحاجة إلى إصلاح.

وهذا ما اعترف به طائفة من هؤلاء، ويريدون الحل الآن.

ولكن يأتي بعض الناس من المسلمين، وممن يَتَسَمَّوْنَ باسم الإسلام، ويتأثرون بهذا الأمر؛ لأنَّهم خِلَوْ من الثقافة الإسلامية؛ كما قال أبو الأعلى المودودي في كلمته التي ألقاها أمام الجماعة الإسلامية في بيشاور؛ كما نقل ذلك عنه شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - في دروسه المختلفة، وفي كتابه مصرع الإلحاد أيضًا، وكان من جملة ما قاله أبو الأعلى المودودي: «ولنما تبقى عبرة في التاريخ قصة مَنْ يحمل عصا موسى تحت إبطه، وهو يخشى من الحبال والخشب!!»، أي: أنَّ المسلم يخشى من الشُّيُوعِيَّة، ومن الرأسمالية، والديمقراطية، ويريد أن يستجدي من هؤلاء الحل، وفي يده القرآن، وفي يده خلاص العالم، وفي يده الوحي الربَّاني، بل وفي صدره، فسبحان الله من هذه الغفلة!!

الوسيلةُ الثانية عشرة: قطعُ الصلَّةِ بـرموزِ الأُمَّةِ ومراجعتها:

أي: العلماء الربانيين؛ وذلك عن طريق تشويه صورة الدِّينِ.

وَأَذْكُرُ أَنِّي قرأتُ في بعض ما كَتَبَهُ بعضُ الكاتِبِينَ، ولعله محمد قطب في كتابه واقعنا المعاصر، أو غيره، يذكر عن ممارسات الاستعمار الفرنسي، والاستعمار الإنجليزي في مصر، وأنَّه كان يُبَغِّضُ إلى الطلبة الدِّينَ بممارسات متعددة.

ومنها: أَنْ تُجْعَلَ حصة التربية الإسلامية آخر حصة دراسية في اليوم؛ وذلك حتى يكون الطلبة الصغار قد تعبوا وملأوا، فيكرهون تلك الحصة؛ ويكرهون بسببها الدين.

أو يُوضَعُ مدرسون لتدريس هذه المادة ليس لديهم ملكات تربوية، وليس لديهم أسلوب علمي، وإنما يُؤْتَوْنَ من معاهد، أو مؤسسات تُعْنَى بتغذيتهم بالعلم الشرعي الديني، ولكن لا تَعْتَنِي بمهاراتهم في إيصال المعلومات إلى الطلبة.

وربما لا يكون لديهم ذلك السلوك اللائق أيضًا في احترام الطلبة، وتقديرهم، أو توجيههم؛ فلا يفهم منهم الطلبة.

أو أَنَّهُمْ حين يقارنون مستواهم في إيصال المعلومات بغيرهم من أساتذة تعليم اللغة الإنجليزية، أو الرياضيات، أو العلوم، وغيرها فإنهم يجدون البون الشاسع؛ فيَقْضُلُون تلك المواد العلمية، أو اللغات الأجنبية على معلّم اللغة العربية، أو التربية الإسلامية.

وعندما يتقدّمون في السن لا يتوجّهون لدراسة العلوم الشرعية في دراساتهم العليا، أو اللغة العربية، وإنما يتوجّهون لدراسة اللغات الأجنبية؛ لأنّه غُرِسَ فيهم أنّ هذه اللغة الآن هي لغة الحضارة، ولغة المدنيّة، وأنّ مَنْ أراد العمل، أو التحسين من مستواه المادي فعليه أَنْ يَتَعَلَّمَ هذه العلوم؛ لأنّ اللغة العربية، أو التربية الإسلامية لا تفيد شيئًا، ولا ينال صاحبها وظيفة!!

وأنا هنا: لا أذم هذه العلوم، كلاً؛ فهي علوم مفيدة، ولكن
أتكلم عن هذه المقارنة في هذا الجانب، وفي هذا المستوى،
ولاً كما قال أبو مسلم رحمته الله:

ولا تقولن علم ليس ينفعني بكل علم يعيش المرء منتفعاً
فاطلب وأطلق بلا قيد ولا حرج وقف إذا كان عنه الشرع قد منعاً

فهؤلاء يُشَوِّهُون صورة العلماء الربانيين، ويُقَيِّدُون حركتهم،
ويمنعونهم من الدعوة، وربما يشغلون العلماء بطلب لقمة
العيش؛ حين لا يُوفِّرُ لهم ما يحتاجون من نفقاتهم، ونفقات
عيالهم، أو كتبهم، أو يحتاجون إلى مراكز بحث، أو إلى مدارس؛
لكي ينشروا علمهم، فيُضَيِّقُون عليهم.

ورُبَّمَا يُريدُونَ شغلهم بالمناصب، والمال؛ فيغرقونهم
بالترف، ونحو ذلك من حظوظ الدنيا؛ لأجل صرف الناس عنهم،
أو لأجل صرفهم عن الناس.

فإن انصرف الناس عنهم، أو انصرفوا عن الناس خلت
الساحة، وتولَّى الأمر أناس غير مؤهلين لقيادة المجتمع،
فيرجع إليهم العامة؛ لطبيعة الناس في الرجوع إلى قادة، وإلى
مراجع، فهذا أمر طبعي، والله تعالى يقول: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ويقول: ﴿فَسْتَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]،
ويقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ
يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

فيظهر في الساحة أناس قد صُنِعُوا بيد هؤلاء الملاحدة، أو عملائهم، وهم لا يفقهون من الدين شيئاً، وليس لديهم استقامة، وليس لديهم غَيْرَةٌ على محارم الله، وليس لديهم إدراكٌ للواقع؛ فَيُضِلُّونَ، وَيُضِلُّونَ.

وهذا ما ذكره النبي ﷺ في الحديث؛ حين قال: «إِنَّ اللَّهَ وَكَانَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَتَتْهُمَا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا»^(١).

ونحن بحمد الله أكرمنا ربي في هذا البلاد بعلماء ربانيين هم يتصدَّرون المشهد، وبفضل الله تعالى يتوجَّه الناس إلى هذا الخير، وإن كان بعض الناس يحاول زعزعتهم، أو التأثير عليهم، ولكن فضل الله تعالى حاصل، ونسأل الله تعالى الثبات لنا ولهم جميعاً.

إلا أنَّ هذا الخطر يحرق بالأمة، وقد أُصِيبَتْ كثيرٌ من البلدان الإسلامية بسبب إصابة العلماء، وتشويه مكانتهم، واستبدال بهم أناس غير أكفاء؛ فَفَتَتْهُمُ العامة، وأضلوا الناس، فضلوا عن سبيل الله تعالى، فنسأل الله تعالى العافية.



(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، رقم: ١٠٠.

المحور الثالث: مظاهر الإلحاد



في هذا المحور سنذكر نماذج من مظاهر الإلحاد، وهي على سبيل التمثيل، لا على سبيل الحصر؛ لأنَّ الأمر واسع.

وإنما أُنَبِّهُ هنا على أشياء حتى ننتبه لها جميعاً، ونَحْذَرُ منها أيضاً في الوقت نفسه، ونحرص على أن يكون كلُّ مَنْ يتصل بنا بعيداً عنها؛ حتى لا يقع في شباكها، ويُصاد بحبائل كيدها؛ فإنَّها تجر إلى ما بعدها مما هو أعظم والعياذ بالله.

المظهر الأول: الشُّيُوعِيَّةُ:

ولا شك أنَّ الشُّيُوعِيَّةَ بهذا الاصطلاح المعروف تنصِّدُ هذا الأمر؛ فهي تُعدُّ أشرس مظاهر الإلحاد؛ وذلك بتكذيب وجود الخالق ﷻ، وإنكار كل ما هو غيبي، بل إعلان معاداة الدِّين، كما هي المقولة المشهور لأحد رموز هذا التيار، وهو كارل ماركس؛ حين قال: «الدِّينُ أفيون الشعوب».

وهو يعني بذلك: أنَّ الدِّينَ مُخَذَّرٌ للشعوب؛ لأنَّه استُعْمِلَ من قبل الأباطرة، والقيصرة في استعبادهم؛ لأجل أن يكونوا

طوعاً لهم، ولكي يدفعوا الضرائب التي تُملَى عليهم، وليكونوا أجناداً في سبيل تحقيق مصالحهم التَّوْشِعِيَّة، والتَّسْلُط في الأرض.

وفوق ذلك ربما يشير أيضاً إلى: أَنَّ الدِّينَ - كما فَهَمَهُ هو، وَمَنْ معه - يُخَذَّرُ العقول من البحث والتفكير، واكتساب العلم؛ بناءً على ما قَرَّزَنَاهُ سابقاً من انتشار هذا الفكر عن الدِّين، وذلك بتشويه صورته في القرون الوسطى، والعصور المظلمة؛ لأسباب كثيرة، والشُّيُوعِيَّة هي التي تُشِيعُ كل شيء، ولا تعترف بملكية الفرد، قرينةً للاشتراكية في النظام المالي.

لكنها أوسعُ مِنَ الاشتراكية؛ لأنَّها تشتمل على نظام شامل في جميع المجالات، فلا تقتصر على النواحي المالية، أو الاقتصادية؛ بل تشمل النواحي الاجتماعية، والفكرية، والسياسية، والثقافية، وغيرها.

كما أنَّها لا تعترف بحدودٍ، ولا تلتزم بضوابط؛ فالإنسان كأنَّه مُشَاعٌ، لا يملك نفسه، ولا يملكه أحد.

وكلُّ ذلك إنما هو إعلانٌ، وتعرِيضٌ بعدم رجوع الإنسان إلى خالقه، ومُكَوِّنِهِ ﷻ، وأنَّه لا سلطان لأحدٍ عليه، وأنَّه حُرٌّ في كلِّ ما يفعل؛ ولذا فإنَّ هؤلاء لا يُلقَوْنَ للفضيلة وزناً، ولا يجعلون للإنسان قيمةً، وإنما هم أتباع الشهوات، بل أتباع الشياطين؛ ولأجل ذلك وجب الحذر من هذا الفكر العقيم.

والحمد لله أن قَطَعَ الله دابر الشيوعية، وإن كانت قد قامت الثورة البلشفية في عام ١٩١٧م، وأقيم على إثرها دولٌ هنا وهناك، وكان أعظمها فتكًا، وتوسعًا، وقوةً ما عُرِفَ بالاتحاد السوفيتي، ولكن هذا الكيان سقط عام ١٩٨٩م، وما بعده أيضًا سقوط جدار برلين، وكذلك تبعته كيانات أخرى صغيرة هنا وهناك، وكأنَّ هذا الاسم قد انحسر، وإن كان قد بقي في الصين، وفي كوريا الشمالية.

ولكن هناك تطورات كثيرة في هذا المجال، وقد ظَهَرَت موجة جديدة من الإلحاد.

وكنْتُ أقرأ، وأتصفح بعض الكلام الذي كتبه الباحث عبد الله بن صالح العجيري في كتابه ميليشيا الإلحاد، وَنَبَّهَ على خطورة هذه الظاهرة الحديثة؛ وذلك فيما عُرِفَ بالإلحاد الجديد، وأنه بدأ يكتسح مساحات غير قليلة من العالم، وأنه اعتمادًا على دراسات أُجْرِيتْ هنا وهناك؛ فإنَّ هذه الدراسات تفيد بأنَّ ١٠٪ من سكان أمريكا وقعوا في الإلحاد، وهذا أمر خطير جدًّا؛ لأنَّ أمريكا كانت المحارب الأول للاتحاد السوفيتي، أو ما عُرِفَ بالإلحاد؛ لأنها أساسًا أقيمت على أنها دولة دينية - كما تقدَّم أنَّ المكتشف الأسباني عندما خرج من إسبانيا إلى أمريكا إنما كان يُغْلِي شُعار الكنيسة، والدعوة إلى الإيمان بالمسيح، واعتبروا أمريكا أرض الميعاد، وحَثُّوا الأوروبيين على الهجرة

إليها، ولا زالت أمريكا على هذا النحو، ومنذ مدة كنت أقرأ أيضاً بأن ٨٥٪ من الأمريكيين يؤمنون بالله، وبوجود خالق، وذلك على حسب التصور الذي يتصورونه، وأكثرهم من النصارى.

وكانوا يُجَرِّمُون الإلحاد، ولا يقبلون بانتماء أحدٍ إلى الحزب الشيوعي، ومنعوا تكوين حزب شيوعي في بلادهم، وربما إن ثبت عن أحدهم الانتماء لذلك يُخَكَّم عليه بالإعدام، وسعوا إلى محاربة هذا الفكر في بلدان كثيرة من العالم إلى أن سقط الاتحاد السوفيتي، سواء كان تلك المواجهات عسكرية، أو عن طريق المخابرات (CIA)، وغيرها، أو كانت ذلك باستعمال أحد المسلمين؛ كما حصل في أفغانستان، وفي غيرها؛ لأجل القضاء على الفكر الإلحادي.

ولكن أن تعود هذه الظاهرة من جديد فإن هذا الأمر يؤدي إلى القلق، خاصة أن هذا الباحث ذكر بأنه قد انتشر كتاب أحد رموز الإلحاد الجديد، وهو كتاب وَهْمُ الإِلَهِ لمؤلفه تشالز دوكنز، وأن صحفية التايمز ذكرت بأنه من أكثر الكتب مبيعاً، وتقدم في قائمتها بأسابيع؛ فكان على رأس القائمة، وبقي في القائمة لمدة عام كامل، وأن موقع أمازون كان يبيع أعداد هذا الكتاب بشكل كبير جداً، وتصدر القائمة لمدة طويلة، ويبيع منه في أربع سنوات أكثر من مليوني نسخة.

فهذا أمرٌ يُنْذِرُ بخطرٍ كبيرٍ، وأن الناس بدأوا يقرأون مثل هذه الكتب، خاصة أن هذا الكاتب هو من أشدَّ الكُتَّاب وقاحةً، وجراًة

فيما يطرحه، وفي تهكمه بالذات الإلهية، والحقائق الغيبية والدينية، وفي انتقاد مخالفه، ولكن ذلك كله لم يمنع من مداولة كتابه.

وهذا الأمر أيضًا انتشر في طائفة من الدول الأوروبية، وبدأ ينتشر في العالم الإسلامي، وتلكم الإحصاءات التي ذكَّرتُها إنما كانت في ٢٠١٠م كما ذكر العجيري، فما بالكم بالإحصاء الآن، وذلك بعد نحو عشر سنوات من هذا الإحصاء؟! وإن كنت لا أستطيع أن أعتد على مثل هذه الإحصاءات؛ لأنَّ الاعتماد عليها كليًا خطأ، فنحن نعلم أنَّ هناك بعض المراكز البحثية تميل إلى تيارات معينة، وتقوم بنشر إحصاءات كاذبة؛ لأجل ترويج أفكارها، فلا ينبغي أنْ نثقَ بها تمام الثقة، ولكن ذلك مؤشر، ولا شك أنَّ الأمر موجود، وخاصة في أوروبا، فقد سبقت إلى الإلحاد.

فإذن هذا نوعٌ من الإلحاد الجديد، وقد بدأ ينتشر بكثرة؛ خاصة إذا وسَّعنا مفهوم الإلحاد، وهذا ما ينبغي أن يكون؛ لأنَّ مفهوم الإلحاد لا يقتصر على إنكار وجود الخالق ﷻ، وإنما يتجاوز ذلك إلى إنكار النبوة، أو تكذيب أحد النبيين، أو تكذيب أي أمر معلوم من الدين بالضرورة، أو الشك فيه؛ فكل ذلك من الكفر المِلِّي الكفر الأكبر كما هو معلوم عند المسلمين، فضلًا عن جهل ذلك بعد قيام الحجة.

وهذا مما يدل عليه النَّصُّ من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وحكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على ذلك،

وإن كان الأمر لا يحتاج بحثاً عن وجود الإجماع؛ لأنّ النص صريح في ذلك، وهذا طبعاً يُوسّع الدائرة، وهذا ما نُحذّر منه؛ لأنّ الله ﷻ عندما يقول مثلاً: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] اعتبر تكذيب أولئك القوم لرسالة نوح ﷺ تكذيباً لجميع الرسالات السماوية، وتكذيباً بجميع الأنبياء؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ أَفْلِكُمُ يَرْدُونَ إِلَهُ أَشْدُّ عَذَابٍ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

فلا يمكن أن يُجزأ الدين؛ فتكذيب بعضه تكذيبٌ لكُلِّهِ، كما قال الله ﷻ؛ حكاية عن المؤمنين: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فهذا هو الإيمان الواجب، ولذلك تتسع دائرة الإلحاد؛ خلافاً للمفهوم الشائع عند الغربيين حينما يحصرّون الإلحاد في تكذيب وجود الخالق ﷻ.

فهذا أول مظهر من مظاهر الإلحاد، وهو ظهور هذه الحركة؛ فكل ما صاحبها، وما نتج عنها، وعن فكرها، وكتاباتهما، ورموزها يجب أن يُحذّر منه؛ لأنها تؤدّي إلى الوقوع في الكفر والعياذ بالله، وتؤدّي إلى خسران الدنيا والآخرة.

المظهر الثاني: العلمانيّة:

وهذا مما ينبغي أن يَعْلَمَهُ كُلُّ عاقل، وكلُّ مؤمنٍ يدين بالله تعالى بالوحدانية، ولمحمد ﷺ بالرسالة، ويؤمن بالقرآن هادياً

ودليلاً، وأنه كتاب أو حاه الله إلى عبده ورسوله محمد ﷺ؛ ذلك لأن حقيقة العلمانية إنما هي تكذيب لحقائق الدين الحق الذي أنزله الله تعالى، فالعلمانية وإن كان اسمها يرقاً؛ بالانتساب إلى العلم، فهي خلوة من ذلك؛ إذ العلمانية في حقيقتها إنما هي صرف الإنسان عن الدار الآخرة، ليكون جُلُّ همّه الحياة الدنيا؛ كما جاء في موسوعة المعارف البريطانية.

وعند بعضهم: بأنها فصل الدين عن العلم.

وفي تعبير آخرين: بأنها فصل الدين عن الحياة.

والمراد بذلك كله: أن لا يكون لله ﷻ أي حاكمية في هذه الأرض، وإنما يُعْتَرَفُ به بأنه رب، أو خالق عند مَنْ أراد ذلك.

وتكون هذه العلاقة علاقة روحية، أو مجرد علاقة شخصية، ولا علاقة بذلك في واقع الحياة، فيُفْصَلُ عن الحياة كلها، وعن كافة مظاهرها؛ فلا دخل للدين في السياسة، ولا دخل للدين في العلم، ولا دخل للدين في الأدب، ولا دخل للدين في التشريع، ولا دخل للدين في الأمور العامة للناس، وإنما قد يُسْتَمَدُّ من الدين - إن أُذِنَ له بذلك - القيم الأخلاقية، وبعض الشعائر التعبدية.

فيُخَصَرُ مفهوم الدين عند العلمانية بين جدران دار العبادة: من مسجد، أو كنيس يهودي، أو كنيسة نصرانية، أو كهف في دير لأحد المتعبدين ممن يُسمَّون بالبوذيين، أو غيرهم.

وهذا حاصل ما يريده هؤلاء، ولا شك أن في ذلك منازعة لله ﷻ في صفاته، وهو كفر صريح بالله تعالى؛ كما يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، فضلاً عن كون هذا الأمر يعني القبول بأي دين آخر على أنه حق، وأن للإنسان الحرية الكاملة في اعتناقه، وذلك لا شك مصادم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وكما نعلم أن الإسلام - وإن كان هو الدين الحق - إلا أن ذلك لا يعني أنه يُحكّم على غيره بعدم الوجود.

ففرق بين أن يُحكّم على فكر معين بأنه ضلال، وأن يُحكّم على صاحبه بالإعدام.

وهذا أمر لم يستطع بعض الناس التفريق بينه؛ فمن جهة الإسلام يُعطي الإنسان حرية الاختيار؛ كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، إلا أنه في الوقت ذاته يعتبر عدم الإيمان بالله تعالى، أو باليوم الآخر، أو بأي ركن من أركان الإيمان كفراً بالله تعالى، وأن من اختار هذا الطريق فإنه يتحمل مسؤوليته في الدنيا والآخرة، وأنه في الآخرة في نار جهنم، والعياذ بالله.

فيظهر الفرق بين أن يُقَالَ: للإنسان حرية الاختيار، وبين أن يُقَالَ: بأنَّ الكفر جائز؛ فالله تعالى قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وتفصيل هذا الأمر يحتاج إلى بسط، وليس محله الآن.

فهذا الفكر الذي بدأ يعتنقه طائفةٌ مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الإسلام يُوقِعُهُمْ في حرج شديد، ولستُ بصدد تكفير عباد الله تعالى هنا، أو اعتبارهم مُرتدِّينَ، ولكن أقول: بأنَّ بعض المسلمين يقعون في الكفر والعياذ بالله تعالى؛ بسبب جهلهم بحقيقة دينهم الذي يعتنقونه، وقد يغارون عليه، فيقعون فيما يُبْعِدُهُمْ عن الدِّينِ الحقِّ، وفيما يهلكهم في دنياهم وأخراهم والعياذ بالله تعالى؛ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُخِطُوا أَعْمَالَهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥].

فهؤلاء عليهم أن يحذروا من الوقوع في براثن هذا الفكر، وقد انتشر كثيرًا عند مَنْ يقومون بمسؤوليات، أو يُدَرِّسُونَ العلم، ولا يَقْبَلُونَ أن يتدخل الدِّينُ بالتحليل والتحريم في أعمالهم، وإنما يراعون مصالحهم الشخصية، أو ما يرونه بأنفسهم مصلحة.

وربما شرَّعوا القوانين؛ لتبرير ذلك، وفي ذلك مصادمة للنصوص القطعية، ومنازعة لله تعالى في ملكه، وفي حكمه

فهو ﷻ وحده الحاكم؛ ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فالإنسان مع أن الله تعالى أعطاه العقل إلا أنه لم يأمره بالاحتكام إلى العقل؛ فالحاكم الشرع لا العقل.

فحاكم الشرع قضى بما جرى لا العقل يا ذا فاتركن عنك المرا والعقل مع عظم نعمته من الله تعالى على الإنسان إلا أنه لا يستقل بالتشريع، وإنما يُحَسَّنُ وَيُقَبَّحُ وفقًا للحكم الشرعي، إلا فيما أُذِنَ للإنسان فيه من بعض الأمور التي ينطلق فيها مستصحباً القواعد الشرعية التي أنزلها الله ﷻ، وفيما أُذِنَ له فيه بالاجتهاد على ضوء تلك القواعد عند مَنْ آتاه الله تعالى مَلَكَةً اجتهادية؛ فهناك يُبَاحُ له ذلك بقدر، وهو بفعل هذا إنما يكون كاشفاً لحكمه الشرعي، لا مُنْشِئاً لحكم كما نَبَّهَ على ذلك أهل العلم؛ فَإِنَّ الَّذِينَ يَضْعُونَ تَشْرِيعَاتٍ مِنْ تَلَقَاءِ أَنْفُسِهِمْ مَخَالِفَةً، صَرِيحَةً، دُونَ تَأْوِيلِ لِحُكْمٍ قَطْعِيٍّ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، فَإِنَّهُمْ يَضْعُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ.

وموضوع الْعِلْمَانِيَّةِ يحتاج إلى كلامٍ طويلٍ، وعسى الله تعالى أَنْ يُيسِّرَ لَنَا فُرْصَةً لِلْحَدِيثِ عَنْهُ؛ وَذَلِكَ حَتَّى لَا يَقَعَ النَّاسُ فِي هَذَا الْخَطَرِ الْعَظِيمِ.

المظهر الثالث: الحركات القومية:

فهذه الحركات القومية تلتقي مع الإلحاد والعياذ بالله تعالى؛ لأنها تنتمي إلى جنسٍ مُعَيَّنٍ من الناس، وتعتبر ذلك الجنس هو قطب الرحى الذي تدور عليه، وتعتبره أساس التحسين والتقبيح؛ فمن لم يكن من ذلك الجنس فكأنما يكون غريباً، وربما يُعْتَبَرُ عدواً، ولا يكون له شيءٌ من الحقوق؛ لأنه لا يحمل وثيقة معينة يُعْتَرَفُ له فيها بذلك.

وحملُ تلك الوثيقة التي تدل على الانتماء إلى قومية معينة إنما يعتمد في الغالب على قطعةٍ من الأرض، أو يعتمد على جنس مُعَيَّنٍ من البشر، ومن لم لا يحمل تلك الوثيقة فإنه لا يُعْتَرَفُ له بشيء، وهذا خطير؛ لأنه يعود إلى ما عُرِفَ بالجاهلية، وإنما سُمِّيَ أهل تلك الفترة بأنهم يتبعون الجاهلية؛ لأجل انتمائهم القبلي، ولأجل حِمِيَّتِهِمْ؛ فهم كانوا يتعصبون لأرائهم، أو آراء آبائهم وأجدادهم، ولو لم يكن أولئك الآباء على حق، ﴿أَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَيَقُولُنَّ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقد أنكر الله تعالى هذا الحكم؛ فقال: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وذلك اتباعاً للهوى، وفيه منازعةٌ لله ﷻ في حكمه، وفيه عدمُ اعترافٍ بالأحكام القطعية التي أنزلها الله ﷻ في كتابه، أو على لسان

رسوله ﷺ؛ ومنها قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ وإنما يُقسَّمُ الناس إلى الأقسام المعروفة في الشرع:

وفرزه في ثلاث مؤمن ومنا فق وصاحب شرك جاحد عُزْلا

فهذه نظرة المؤمن، النظرة الإيمانية للناس، بحيث يحسبهم على هذا النحو؛ فلا عبرة بنسب، ولا عبرة بمال، ولا عبرة بلسان، ولا عبرة بجنس، ولا عبرة بمصلحة، وإنما العبرة بالإيمان والعمل الصالح، فَمَنْ اعتنق عقيدة الحق، وعمل الصالحات فهو أَوْحُّ ولو كان أبعد الناس نسباً، ولو اختلف في اللون، ولو تباين في اللسان، ولو بَعُدَ في السكنى والأرض، فأساس الأخوة إنما هو الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح، ويبتعد عن المؤمن كلُّ مَنْ أخلَّ بالإيمان، أو بالعمل الصالح، أو بكليهما، فيُنزَلُ منزلته: هل هو مشرك أو منافق؟!

فهذا هو دين الله تعالى؛ وهو جَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً إِنْ كَانُوا عَلَىٰ هَذَا النِّحْوِ، فجاء مفهوم الأمة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وجاء في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تقرير هذا الأمر؛ حين قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ

اللَّهُ عَنْهُ كُزْبَةٌ مِنْ كُزْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

فبعض هذه الحركات - إن لم نقل أغلبها - إنما تنطلق من هذا الفكر الأرضي، ولا ترتقي بالإنسان إلى الروح؛ وهي أكرم خصائص الإنسان، وإنما تتغذى الروح بالإيمان، وبالعقيدة، وهؤلاء يَزْجِعُونَ بالنفس، وبالإنسان إلى الأرض، فيجتمعون على أساس التراب، وعلى أساس السياج، وعلى أساس الدم، أو على غير ذلك من المصالح البشرية المعروفة.

وطالما - حسبما ظهر في التاريخ - كانت هذه الحركات موافقة للملاحة في أفكارهم؛ وذلك بتعطيل الدين، وجعله لا قيمة له، وأنَّ الدين إنما هو علاقة بين العبد وربّه، وأنَّ الوطن يَتَسِعُ للجميع؛ فكانهم يجعلون الدينَ غيرَ واسعٍ للجميع، وَيَهْمُّشُونَ الدينَ، وربما يُعْظَمُونَ بعض الكفرة من أعداء الله ﷻ؛ فيؤذي بهم الأمر إلى أن لا يبالوا بأن يؤلّوا عليهم مَنْ كان كافراً، مع أنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وربما وَالّوا أعداء الله ﷻ من الأممِ أخرى؛ بسبب رفعهم للشعار نفسه.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم، باب: لا يُظْلَمُ المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلِمُهُ، رقم: ٢٤٤٢.

وطالما جَزُتْ مثل هذه الحركات الأمم والبلدان والشعوب إلى حروبٍ لا طائل تحتها؛ لأنها تقوم على أساس عنصري والعباذ بالله تعالى، فظهرت بعض الحركات فيما يُسمَّى بالشيْفونِيَّة، التي ترى نفسها أفضل من غيرها؛ بناءً على نظرية داروين؛ كالحركة الفاشية لموسوليني في إيطاليا، والحركة العنصرية النازية الأخرى المعروفة في ألمانيا لأدولف هتلر.

وهكذا ظهرت أعراقٌ تتصارع فيما بينها، وكلٌّ يرى نفسه أفضل من غيره.

وللأسف الشديد ظهر هذا بين جملةٍ من الشعوب الإسلامية التي جمعها الله على الإسلام، فتقاتلت فيما بينها على هذا الأساس العنصري، مع أنَّ الله تعالى أنعم عليها بما يجمع شملها، ويؤلِّف المختلف بينها، وامتننَّ عليها بذلك؛ فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحذَّر المولى ﷺ من هذا التفرُّق؛ ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُكُمْ وَتَذْهَبَ بِحُكْمٍ وَأَصِيرُوا إِنْ اللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وللأسف الشديد يابى بعض الناس إلَّا أن يتَّبَعَ الأعداء؛ فتمزقت الأمة، وأصبح يُحَارِبُ مفهوم الأمة، وينسبه إلى بعض الجماعات الإسلامية، وكأنَّ هذا أمرٌ مُحْتَقرٌ، ويُصَوَّرُ أنَّ هذا يؤدِّي إلى نزع الخصوصية عن بعض الشعوب.

وليس الأمر كذلك؛ فالإسلام مع اعترافه، ودعوته إلى فكر الأمة، وجمع الشمل - ويريد من ذلك تقوية هذه الأمة، ومحافظة على مبادئها، وأهدافها، ومقدساتها، وجعلها قوية بين الأمم الأخرى - إلا أنه يعترف بخصوصية الناس، وبخصوصية الأفراد، وبخصوصية الجماعات؛ فالله تعالى يقول: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، فَأَثْبَتَ هذا الانتساب إلى الشعوب، وإلى القبائل؛ لأجل التعارف، لا أن يكون محور التحسين والتقبيح بين الناس، أو أساس الاتصال والانفصال، فهذا مما لا يمكن.

ولذلك ينبغي أن يُنْتَبَهَ لمثل هذا الأمر، وأن يُحَذَرَ منه؛ لأنه في النهاية سيقود إلى الإلحاد عاجلاً أم آجلاً؛ لأنَّ ابتداءه إنما يكون بعدم الاعتراف ببعض الحقائق الدينية، وفي ذلك منازعةٌ لله تعالى في ملكه، ومُضادةٌ له، وبعد ذلك يؤدي إلى التهميش، ونسأل الله العافية.

المظهر الرابع: حركة تحرير المرأة، أو ما يُعرف بالنسوية العالمية:

وهي عبارة عن حركة ظهرت أخيراً، وربما ذلك في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، وقويت في القرن العشرين الميلادي، ومع القرن الخامس عشر الهجري.

وبعضهم: يجعل ابتداءها في أوروبا، وبعضهم: يجعل ابتداءها في أمريكا.

وحركة تحرير المرأة حركةً علمانيةً غريبةً، تهدف إلى تحرير المرأة من الدين، والقيم، والأخلاق، رافعةً شعار المطالبة بحقوق المرأة، ومنطلقةً من النظر إلى المرأة على أنها مهضومة مظلومة، وأنَّ الرجل هو الذي ظَلَمَها، حتى أنَّ كثيرًا من النساء اللاتي يلتحقن بهذه الحركة يُعَادِينَ الرجل، ويعتبرن الرجل عدوًّا، وَيَسْعَيْنَ للنيل منه، ويصل بهن الأمر إلى أن يُطَالِنَ بحقوقٍ تعاكس فطرهن، ولا يرتضين شيئًا، وينطلقن من مبدأ المساواة التامة بين الرجل والمرأة، مع مخالفة ذلك للنواحي الفطرية، والنواحي البيولوجية، والنواحي النفسية، فضلًا عن أحكام دين الله ﷻ.

وَدَيْنُ الله تعالى هو أَوَّلُ مَنْ كَرَّمَ المرأة، وذلك منذ أن بَعَثَ الله تعالى الأنبياء والرسل ﷺ، من لدن آدم ﷺ إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ، وظهر هذا التكريم بوضوح، وبصورة شاملة في بعثة سيدنا محمد ﷺ، التي مثَّلت الإسلام كله؛ بعقيدته، وتشريعاته، وقيمه، إلى غير ذلك.

والله تعالى قد كَرَّمَ المرأة في كتابه، ومظاهر هذا التكريم كثيرة، وطَبَّقَ هذا التكريم الرسول محمد ﷺ، والحديث عن ذلك يطول.

وما جعله الله تعالى من تشريعاتٍ للمرأة - أي: التي تخص المرأة - إنما ذلك من تكريم المرأة أيضًا؛ ولأجل المحافظة على نفس المرأة، وعِزِّها، ومالها، وعقلها، ونسلها، ودينها، وكل ما يتصل بها، عَلِمَ ذلك من علم، وَجَهِلَ ذلك مَنْ جَهِل. وهكذا الشأنُ في الرجل؛ فالله ﷻ إنما أَنْزَلَ الدِّينَ رَحْمَةً للعباد؛ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والذين قاموا بهذه الحركة - حركة تحرير المرأة - في البلاد الغربية، قد يُتَفَهَّم - نوعًا ما - ما قاموا به؛ وذلك نتيجة الظلم، والاضطهاد الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والفكري، الذي مُورس ضد المرأة في أوروبا، وفي شعوب مختلفة من العالم؛ لأنَّ تلك الشعوب ما كانت تعتقد الدِّينَ الحقَّ، وما وَصَلَ إليها مِنَ الدِّينِ كان قد حُرِّفَ، واستُعْمِلَ لتكريس هذا الظلم.

فناالت المرأة المظالم الكثيرة، وكانت أشدَّ معاناة من الرجل؛ لأنها الجنس الأضعف - حسب تقسيم هذه الحياة -؛ فكانت تُقْتَلُ في الحروب دون جريرة، وكانت تُسْتَرْقُّ دون أن تشارك في الحروب، وتُغْتَصَبُ، وتُنْتَهَكُ كرامتها، ولا يُعْتَرَفُ بإنسانيتها، فضلًا عن عدم تَمَلُّكِها لشيء، وتصرفها فيه، وكان الرجل يرثها كما يرث المتاع!!

وبقي هذا إلى وقتٍ متأخرٍ في أوروبا، وإلى بدايات القرن العشرين الميلادي، كما حدث في فرنسا، وفي غيرها، فربما كان

لبعض الناس في المجتمع - نساء ورجالا - أن يثوروا ضد هذا الفكر، ولكن لا عُذْرَ لهم أبداً، وخاصة ممّن ينتمى إلى الإسلام أن يعادي دين الإسلام؛ فإنّ دين الله تعالى يعترف بالمرأة إنساناً منذ أول يوم نزل فيه، وكان أوّل مَنْ آمن بالنبى ﷺ امرأة، وهي خديجة الكبرى رضي الله عنها، وهي التي بذلت من وقتها، وجهدها، ومالها، وكل ما تستطيع؛ لأجل نُصْرَةِ هذا الدّين.

كما أقرّ لها النبي ﷺ بذلك، ونزل جبريل في الحديث مُبَشِّراً إيّاها بالجنة، ومُبَلِّغاً لها السلام من الله ﷻ، فأُيِّ بِشارةٍ تنتظر المرأة إن كانت على هذا النحو من التّكريم.

وربما تفوق المرأة آلاف، أو الملايين من الرجال، وهذا واضح في كتاب الله تعالى؛ فقد خَلَدَ الله ذكرها، وذكر مريم عليها السلام، ونزلت عليها الملائكة مخاطبة إيّاها: ﴿يَكْرِمُكَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]، والكلام عن ذلك يطول.

فسبحان الله!!

كيف تقوم بعض النساء المسلمات بالانضواء تحت لواء حركة تحرير المرأة؟!

فقد يعود ذلك إلى جهلهن بحقيقة الإسلام، وقد يعود ذلك إلى جهلن بحقيقة هذه الحركات التي تستهوين شعاراتها؛

وذلك حين يَرَيْنَ أنَّ من جملة هذه الشعارات المطالبة بحقوق المرأة، والمطالبة بتمكين المرأة، وما هو إلا شَرَكٌ؛ لأجل الوصول إلى الطعم، ثم بعد ذلك يقعن في المصيدة؛ فكم من نساء عُرِّزَ بهن ففقدن عفتهن، وبعد سنين اكتشفن الأمر.

وإنما يُرَادُ من هذه الحركات نزع عفة المرأة، ونزع إيمانها، وجعلها ألعوبة بيد الرجل؛ حتى يحقق منها بغيته في الشهوات، وإلا فما نالت المرأة إلى الآن في أوروبا شيئاً.

فإن كان في الجانب السياسي، كم عدد النساء في البرلمان الأوروبي، وفي برلمان كل دولة على حدة كما يقال؟! في بريطانيا، وفي فرنسا.

والى الآن كثيرٌ من هذه الدول قد لا يصل تمكين المرأة فيها إلى ١٠٪ من الأعضاء؛ فأكثرهم من الرجال، وكذا في الحكومات أيضاً في المناصب القيادية؛ مع أن المرأة أُعْطِيَتْ حرية مطلقة هناك، ولكن السلطة في أغلبها للرجال، مع أنَّ عدد النساء قد يصل إلى النصف من حيث عدد السكان، وممَّنْ لهم حق التصويت، وقد يفوق عدد النساء في بعض الدول عدد الرجال، وربما يتساوون، ولكن التمثيل الانتخابي لا يكفي هذا.

وقد يعود هذا إلى أسباب كثيرة، ومن جملة ذلك: عدم ثقة المرأة بالمرأة نفسها؛ فلا تعطيها صوتها، وإلا فكيف يفسر عدم

وصول حركات تحرير المرأة إلى أهدافهن؟! مع أن هذه الحركات قامت منذ أكثر من ١٠٠ مائة عام، وأُعْطِيَتْ المجال؛ لتحقيق ذلك، وتُدْعَمُ ماليًا، وربما تُؤَيَّدُ من قبل بعض الحركات الماسونية والصهيونية العالمية، كما أنها تستعين بالميثاق العالمي لحقوق الإنسان، الذي أبرمته الأمم المتحدة ١٩٤٧م.

فمع كل ذلك، ومع تطرف هذه الحركات إلا أنها لم تنجح، وما تحقق إنما يؤدي إلى اضطهاد المرأة أصلًا، فكم عدد الجرائم التي تُزْتَكَبُ ضد المرأة في أوروبا؟! وفي أمريكا؟! فإن الجرائم هناك بالثنائي؛ في قتل المرأة، واغتصابها، والتحرش بها، وظلمها في حقوقها.

ولا زالت إلى الآن - وذلك ببيانات رسمية - المرأة لا تُعْطَى نفس أجرة الرجل في الوظيفة التي تقوم بها، مع أنها تقوم بنفس الاختصاصات، والأعمال الوظيفية، ولا زال هذا التمييز في أمريكا، وفي طائفة من البلدان الأوربية، ولا زالت الحركات النسوية هناك تعاني من عدم الإنصاف، فضلًا عن الجرائم التي ذكرتها.

فما الذي أدّت إليه هذه الحركات؛ من دعوة المرأة إلى التبرج، ومنازعة المرأة في كل مكان، ومحاولة الظهور بمظهر الرجل، إنما هذه إهانة للمرأة؛ لأنَّ المنطلق هو المساواة المطلقة للرجل، فأصبحت هاتيك النساء يتأففن من نون النسوة، ولا يُرَدَّن

الضمير «هي» أو «she»، وإنما يُرَدَّن الضمير المذكر، إذ تَخْلَيْنَ عن أنوثتهن، ولا يَعْتَدِدْنَ بها، وكأنَّهُنَّ يَغْرَنَ من الرجل، حتى كأنهن يشجعن على السحاق والعياذ بالله.

مع أنَّ طبيعة المرأة لا تقبل ذلك؛ لأنَّ طبيعة الرجل الجسدية تختلف عن المرأة، فإلى أين تذهبون؟!

فوأأسفاه على بعض النساء في بعض البلدان العربية والإسلامية حين يغتررن بمثل هذه الحركات، وربما يلبس بعضهن الحجاب، ولا يخلعنه، ولكن الإيمان من الداخل منعدم أو ضعيف؛ لأنَّهن يقعن في ما يؤدِّي بهن إلى الكفر تارة.

ولا أدعي أن كل مَنْ دخل هذه الحركات هو على هذا النحو، ولكن الكثير منهن إن كن يأخذن بأفكار تحرير المرأة وقعن في ذلك والعياذ بالله، وَقَعْنَ في الإلحاد، شعرن أو لم يشعرن، فإنما العتب على جهلهن والعياذ بالله، أو سذاجتهن حين يَغْنَ دينهن بهذا الرخص، منهن مَنْ ينكر حكم الله تعالى في إعطاء الابن في الميراث ضعف أخته؛ كما قال الله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، فيعترضن على هذا.

ومنهن مَنْ يَدْعُون إلى إنكار الحجاب مطلقاً!!

ومنهن مَنْ تدعو إلى إباحة الزنا، والشذوذ الجنسي؛ بدعوى الحرية!!

ومنهن مَنْ يعترض على حكم الله تعالى في مجالات أخرى
تتصل بالمرأة!!

فأَيُّ إيمانٍ يبقى لأحد وهو على هذا النحو؛ والله تعالى يقول:
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]،
ويقول: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١]، ويقول جَلَّ وَعَلَا:
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]،
فهل هذا إلا اتباعٌ للشيطان، وهل هذا إلا انقيادٌ للهوى، كما قال
الله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْهُدَى مِنَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾
[القصص: ٥٠]، ولذلك؛ لأجل علاج هذا الأمر لا بد من القيام
بجهادٍ عظيم.

المظهر الخامس: الحداثة والتجديد:

وقد ظهر هذا منذ فترة في أوروبا؛ لأنه عُرف بأنه عصر
التنوير والحداثة، وذلك في القرن الثامن والتاسع عشر الميلادي،
وظهر في البلاد العربية والإسلامية في القرن العشرين، وانتمى
إليه طائفة من الأدباء؛ لأنهم أخذوا يقرأون للأدباء الغربيين.

وهؤلاء - كما تقدّم - يستعملون الأدب؛ لنشر فكرهم، ويقولون: الأدب للأدب - هكذا في زعمهم -، أي: أن المرء يكتب ما يكتب ولو كان في كِتَابَتِهِ التشكيك في الدين، أو الإقرار بعدم ألوهية الحق ﷻ، أو كان في كتابته ما يدعو للسخرية بأنبياء الله تعالى ورسله، أو في كتابته ما يدعو إلى التشجيع على الفساد، والرذيلة، والعلاقات الجنسية المحرّمة، أو غير ذلك مما ينافي أحكام الله ﷻ.

وحين يُنكّر عليهم يقولون: الأدب للأدب، وهذا يجب أن نتعامل معه على أنه نصّ أدبي.

وبلغ ببعضهم الوقاحة: أن يتعاملوا مع القرآن بهذا الفكر، وعلى هذا المعيار؛ فيسمح أحدهم لنفسه أن يأخذ آية من القرآن، أو سورة؛ لينتقدها بلاغياً، أو نحوياً، أو فكرياً، ويعتبر القرآن نصّاً أدبياً تاريخياً، محصوراً في عهد النبي ﷺ، ثم بعد ذلك لا يصلح لمخاطبة البشر في القرون التالية، وخاصة في هذا العصر؛ فَيَرُدُّونَ من الأحكام ما شاءوا، وَيُكَذِّبُونَ من الأخبار القرآنية ما شاءوا.

أفليس هذا نوعاً من الكفر؟!

أفليس هذا نوعاً من الزندقة حين يتعاملون مع كتاب الله تعالى على هذا النحو؟!

وهو النور الذي أنزله الله تعالى، وهو الحق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

ويتعاملون بهذا النحو أيضًا مع أحاديث النبي ﷺ؛
فلا يَتَحَرَّجُونَ من انتقاد حديث عن النبي ﷺ؛ سواء كان قولاً،
أو فعلاً، أو تقريراً، وسواء كان متواتراً، أو آحاداً، ويعتبرون
النبي ﷺ قائداً سياسياً، وأن ما صدر عنه إنما هو كان لمعالجة
الوضع الآتي، والمرحلة التي كان فيها، وأنه لا يَتَّخِذُ صفة
النبوة، أو التشريع، وأنه قال ذلك اجتهاداً من نفسه، وأن
للإنسان في هذا العصر - وقد تَقَدَّمَ في العلم والمصالح - أن
يُشْرَعَ لنفسه، وأن يَرُدَّ على النبي ﷺ، أو أن يُخَطِّئَهُ، أو يعتبره
غير قدوة له.

فهل هذا إلا تكذيب بآيات الله التي أمر الله تعالى فيها بالأخذ
بكلامه، وكلام رسوله ﷺ، والاحتكام إليهما؟!

وماذا بقي مِنَ الدِّينِ إن لم يكن هذا تكذيباً للدِّينِ، وطعنًا
فيه، وانتهاكاً للمقدسات، وتجاوزاً للحدود تحت أي شعار؟!

وكيف يَدْعُونَ هذا الأمر: بأنَّ الأدب للأدب؟! وهم يقصدون
بأدبهم الذي ينشرونه - نثرًا أو شعراً، تحت ما يُسَمَّى بالشعر
الحدائي، وتارة بالتفصيلي، أو خارجاً عن بحور الخليل بن
أحمد - نشر أفكارهم، ونشر الإلحاد.

فهم يقومون بما يُناقِضُ فكرهم، ولكن يُجلِّونهُ عامًا،
ويُحَرِّمُونهُ عامًا، أو كما قال القائل:

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس
وما ذلك إلَّا تهرُّبٌ من المسؤولية، وواقعهم يشهد بذلك؛
فإنَّ كثيرًا من هؤلاء واقعون في الانحلال الخُلُقِيّ، وأصبحوا
يعاقرون الخمر، أو يقعون في الرذيلة مع النساء دون زواج.
طبعًا؛ أقول: الغالب، أو طائفة منهم على الأقل؛ حتى
لا أحاسب على ذلك.

ولكنَّ هذا ما يؤدِّي إليه فكرهم؛ لأنَّهم يُسَجِّجون على
الرذيلة، ولا يُقدِّسون ولا يُعظِّمون ما عَظَّمَهُ اللهُ، ولا يُحقِّرون
ما حقَّره اللهُ؛ بل ربما يرفعون شأن بعض الكُتَّاب، وربما أُعْطِيَ
بعضهم جائزة نوبل للأدب؛ كما فعلوا مع نجيب محفوظ، أو مع
غيره؛ لأنَّه قام بانتقاد الدِّين، أو قام بتجاوز حدود الله ﷻ في
روايته أولاد حارتنا، أو غير ذلك.

فهنا ينبغي، بل يجب أن تُدركَ خطورة هذا الموضوع،
وهؤلاء يتحرَّكون في الجامعات، والكلِّيات المختلفة تحت أسماء
برَّاقة، وشعارات برَّاقة، وهناك يحتويهم أرباب هذا الفكر،
فيأخذون الشباب من الشعراء الناشئين، والكُتَّاب، والقُصَّاص؛
ليغرسوا فيهم، وليلوِّثوا فكرهم بهذه الأفكار، فسرعان ما يتأثَّرون

بهم، وينقلبون في توجهاتهم؛ فبعد أن كان يقول أحدهم: السلام عليكم ورحمة الله، إذا به يقول للجمهور: عمتم مساء يا قوم، فيستعملون تحية الجاهلية.

وربما يأتي بأبيات يُدَلِّلُ بها على أنه انقلب إلى هذا النوع من الفكر، ويرمز إلى أن ذلك من المدنية والتطور، كما أنهم ينفخون في هؤلاء الشباب التمرّد، والغرور.

والعجيب أنه في بلادنا العربية والإسلامية يتأخرون حتى في هذا؛ لأنهم متأخرون في كثير من الأمور في النواحي العلمية؛ فهذه العلمانيّة لم تصنع شيئاً إلى الآن، مع أن هناك من تمسك بها، وحاول أن يفرضها على الشعوب الإسلامية، ويُبَعِّدَهَا عن دينها، ولكنها لم تتقدّم في شيء من المنجزات، وحتى في هذا الأدب أيضاً، مع أن هؤلاء يدّعون التّقدّم الفكري، فالعالم الغربي وصل إلى ما بعد الحداثة، وهؤلاء لا زالوا يتسكّعون في مثل هذه المستنقعات، نسأل الله العافية.

المظهرُ السادس: العقلانيّةُ:

وهذا مرضٌ خطيرٌ جداً أيضاً، وإن كان الاسم برّاقاً باستعمال العقل، وحاول سدّئته ممّن كانوا على الإسلام أن يُزهِئُوا لمكانة العقل بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، لكنهم سرعان ما انكشف عوراهم بعد ذلك؛

حين أصبحوا يُقَدِّسون هذا العقل، أو يكادون يُؤَلِّهونه من دون الله تعالى، ويحتكمون إليه، ويُعَارِضُونَ به حُكْمَ اللَّهِ ﷻ وَحُكْمَ رسوله ﷺ، وينتقدون النصوص القطعية.

وربما يصل بعضهم الأمر إلى أَنْ يُنْكِرَ حُجِّيَّةَ السُّنَّةِ، أو ينلّو: بأنّه لا يعترف بحجّيَّة السُّنَّةِ إلّا إذا كانت سُنَّةً مُتَّبَعَةً، ولا تدري بِمَ يعنيه من ذلكم الكلام، وإنما لِيَزِدَّ منها ما شاء، وَلِيَأْخُذَ منها ما شاء.

وربما يَتَجَرَّأُ بعضهم فَيُنْكِرُ السُّنَّةَ، ويدّعي أنّه قرآني، وهو أبعد ما يكون عن القرآن؛ لأنّ القرآن أبعد عنه، والقرآن فيه إثبات نبوة محمد ﷺ، ووجوب اتّباعه، وحجية سُنتِهِ.

فهؤلاء الذين يرفعون شعار العقلانيّة وصل بهم الأمر إلى أَنْ يرتضوا لأنفسهم أَنْ يكونوا في خندقٍ واحدٍ مع الملاحدة، وأنْ يَدَافِعُوا عنهم، ولربما طارث عقولُ بعضهم: أَنْ انتَقِدَ أَحَدُ الملاحدة حين ثُوْفِيَ قريّنا، ولم يُتَرَحَّمْ عليه، فثار غيظهم، وأصبحوا يُثْنُونَ على ذلك الملحد الذي يُغْلِنُ إلحاده، ويترخّمون عليه، ويستنكرون على مَنْ انتقده.

وربما يعييون على بعض المسلمين؛ لأنهم لم يكونوا في راحة عقله كما يقولون، وأيّ عقلٍ بقي لديه، وهو لم ينفع نفسه بالإيمان بالله تعالى؛ ليصونها من غضب الله تعالى، وليُنَوِّزَهَا بنور

الإيمان، وَلِيَزُوحَهَا بِرُوحِ الْيَقِينِ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلْ عَقْلَهُ فِي مَنْعِ نَفْسِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي غَضَبِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى أَعْظَمِ حَقِيقَةِ فِي الْوُجُودِ، وَهُوَ وَجُودُ اللَّهِ تَعَالَى.

فَأَمْثَالُ هَؤُلَاءِ وَإِنْ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا لِلْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْخَيْرِ فِي بَعْضِ مَكْتَشَفَاتِهِمْ، لَكُنْهُمْ أَسَاءُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَأَسَاءُوا إِلَى غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدَوَةً فِي الْبَاطِلِ، وَكَابَرُوا الْحَقِيقَةَ.

وَيَرْضَى بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْعَقْلَانِيِّينَ أَنْ يَنْتَصِرَ لِلشَّيْطَانِ، وَيُزَيِّرَ سَاحَتَهُ مِنَ الْمَسْئُولِيَّةِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَالْجَرَائِمِ الَّتِي تَقَعُ لِلنَّاسِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَذَّرَ مِنْ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ، وَمَنْ اتَّبَعَ خَطَوَاتِهِ، وَحَمَلَ الشَّيْطَانُ مَسْئُولِيَّةً مِنْ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ يُحْمَلُ الْعَاصِي مِنَ النَّاسِ، وَمَنْ الْجَنُّ أَيْضًا الْمَسْئُولِيَّةَ عَنْ فَعْلِهِ؛ لِأَنَّهُ فَعَلَهُ عَنْ إِرَادَةٍ، لَكِنَّ الشَّيْطَانَ مَسْئُولٌ عَنْ ذَلِكَ أَيْضًا، وَهَذَا بِنَصُوصٍ صَرِيحَةٍ؛ كَمَا ذَكَرَ شَيْخُنَا الْخَلِيلِيُّ - حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ الدَّامِغَةِ.

إِلَّا أَنَّ هَؤُلَاءِ يَرِثُونَ الشَّيْطَانِ مِنَ الْوَسْوَسةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَأَنَّ الْمَسْئُولِيَّةَ كَامِلَةً تَقَعُ عَلَى عَاتِقِ الْإِنْسَانِ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ!!

فَضْلًا عَنْ أُمُورٍ أُخْرَى يَذْكُرُونَهَا فِي هَذَا الْمَجَالِ؛ حِينَ يَزْعَمُ أَحَدُهُمْ: بِأَنَّ الصَّالِحَ الْآنَ فِي هَذَا الْعَصْرِ هِيَ الدَّوْلَةُ الْمَدْنِيَّةُ، الَّتِي

لا دخل للدين في الحكم فيها، وأن الأحكام المدنيّة التي يأتي بها البشر بأنفسهم من تلقاء أنفسهم هي المناسبة للواقع، وأنها هي التي تصلح لجمع الناس؛ لأنّ الدين يُفرّقهم كما يقولون، سبحانه الله العظيم!!

مع أنّ هذا مخالفٌ لنصوصٍ صريحة؛ كما تقدّم ذكره، إلى غير ذلك من الأمور التي يذكرونها.

ونحن لا نحارب العقل؛ بل نقول: إنّ العقل مناط التكليف، ومن فقد العقل فقد سقط عنه التكليف؛ كما قال العلماء: «إذا أخذ الله ما وهب أسقط ما أوجب»، فالمجنون غير مكلف بالنص والإجماع عندنا.

والعقل له مجالاته، ويجب استخدامه في أشياء كثيرة، ولكنه محدود؛ فهو يُستعمل في البحث، والتنقيب، وفي إصلاح العالم، وفي فهم النصوص الشرعية، وفي الاجتهاد بضوابطه الشرعية، كما أنّ له مجالات أخرى كثيرة.

إلا أنّ العقل لا يقف في مواجهة النص الشرعي القطعي في ثبوته، القطعي في دلالاته؛ فعلى العقل أن يُسلّم لذلك تسليمًا، وإنما له مجال أيضًا في تطبيق هذا النص في الواقع.

فهو له مجال في ذلك، لكن هل في دلالة النص؟ كلاً؛ ليس له ذلك، وإنما عليه أن يُسلّم، وعليه أن يتّهم نفسه إن بدر فيه

شيء من المصالح يخالف ذلك النص، فحيثما كان النص كانت المصلحة؛ لأنَّ الله ﷻ إنما يأمر بمصالح العباد، وينهى عن مضار العباد، عَلِمَ ذلك مَنْ عَلِمَ، وَجَهِلَ ذلك مَنْ جَهِلَ.

فهذه هي مكانة العقل، ونحن لا ندعو لتجميد العقل، ولكن بعض الناس للأسف الشديد لم يفهم مكانة العقل في الإسلام، ولا زال يجادل في هذا الأمر.

وربما كان ذلك بسبب انتشار الجمود في القرن الثامن عشر الميلادي، والتاسع عشر الميلادي، والقرن العشرين الميلادي أيضًا، وهو ما كان في القرن الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر للهجرة، خاصة الثالث عشر، والرابع عشر الهجريين في بعض البلدان الإسلامية، وأكثره بسبب استعمار، أو احتلال البلاد الغربية لبلاد الإسلام، ونهبهم لثرواتها، وبسبب نظرة بعض المسلمين إلى الغرب نظرة إكبار وإجلال؛ لما وصلوا إليه مِنْ تَقَدُّمٍ وَمَدَنِيَّةٍ في مجال الإدارة، والعمران، والبحث العلمي، والرفاهية؛ ممَّا أدَّى ذلك إلى اغترار بعض المسلمين بهذا الفكر الغربي، وعاد ذلك إلى العقل.

ومعلوم أنَّ الحملة التي أرسلها محمد علي باشا إلى فرنسا للدراسة سنة ١٨٢٦م تحت قيادة رفاة الطهطاوي كانت نتيجة الحملة الفرنسية على مصر، حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨م،

والتي أدت إلى تأثر محمد علي باشا بها؛ وذلك حين رأى المدنيّة، ولباس الجيش، والسلاح الذي يمتلكه، والمراكب الحربية الفخمة التي أتى بها.

فضلاً عن بعض الهدايا التي أتى بها نابليون؛ فتأثر بها، وعزم على بعث طائفة من الطلبة المصريين إلى أوروبا؛ للدراسة بفرنسا، خاصة الدراسة في جامعة السوربون، فاقترح عليه أحد مشايخ الأزهر، وهو الشيخ حسن العطار أن يُوفد مع هؤلاء الطلبة إماماً يؤمّهم في الصلاة، ويكون مُشرفاً عليهم، فاقنع بفكرته الشيخ محمد علي باشا، وترك الأمر إليه في اختيار شخصية مناسبة للمهمة؛ فاختار الشيخ رفاة الطهطاوي.

وكان من خريجي الأزهر، ويُذكر أنّه كان حافظاً للقرآن، وكان ذكياً، فأرسله معهم، فكان يصلي بهم، ويراقب شؤونهم ولكنه لما وصل هنالك، والتقى ببعض المستشرقين، رأى أنّه من الأنفع له أن يلتحق بالدراسة أيضاً، وأن يستفيد من وقته، فيُقال: أنّه بعث برسالة إلى محمد علي باشا يستأذنه في الالتحاق بالدراسة، فأذن له، فبدأ بدراسة الحقوق، والقانون الفرنسي، والأدب، والتأريخ بعد أن أتقن اللغة الفرنسية، وأخذ يناقش المستشرقين هناك.

وبعد نحو خمس سنوات، أي: سنة ١٨٣١م رجع إلى مصر، وقد تغيّر فكره؛ فبدل ما كان يُدعى باسم الشيخ رفاة أصبح

ميسو رفاعه، وَخَلَعَ العمامة، ولبس اللباس الغربي، وَكَتَبَ مُذْكَراتٍ يتحدَّث فيها عن حياته في أوروبا؛ فيما عُرِفَ بتخليص الإبريز في تلخيص باريز.

وذكر هنالك إعجابه بالثقافة الغربية، وبالحياة الاجتماعية والمدنيّة، وبدأت التسريبات لبعض أفكاره في هذه المذكّرات، وإن لم تكن صريحة؛ فذكر الرقص، والغناء، وأنّه لا حرج في ذلك، وأنّ المرأة الأوروبية الغربية، والفرنسية بشكل خاص قد تكون كاشفة لرأسها، وتختلط بالرجال، وتتراقص مع الرجال الأجانب، ولكنها مع ذلك تحافظ على عففتها، ما شاء الله!! فبدأ يَنْشُرُ هذه الأفكار على هذا النحو، ثم بدأ بعد ذلك أخذ يُصَرِّحُ بما هو أكثر.

وأخطُرُ عملٍ قام به هو ترجمة القانون الفرنسي - كما قيل: في أحد عشر مقالاً -، وأدّى ذلك إلى تعريب هذا القانون البشري، وبدأ يُطبَّقُ في مصر، وعُمِّمَ بعد ذلك في البلاد العربية والإسلامية.

وهذا كان في البداية، وفي تلك السنوات، ثمّ ظهر بعد ذلك بعض الناس ممّن يُمَجِّدون الناحية العقلية، وينظرون إلى الحياة الغربية نظرة إعجاب، وتأثّروا قليلاً، ولكن بقدر، إلّا أنّه فتَحَ الباب، ومن ضمن هؤلاء الذين تأثّروا الإمام محمد عبده، صاحب تفسير المنار.

وقد ذكر شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - : أنه من العلماء،
وأنه قَاد، وأَسَّس ما يُعرَف بالمدرسة الإصلاحية؛ اتباعًا وتأثرًا
بشيخه، وأستاذه جمال الدين الأفغاني.

ولكن الفرق بينه وبين هؤلاء الطلبة الذين يتظاهرون
بالعقلانيَّة الآن: أنَّ الشيخ محمد عبده كان عَالِمًا، وكانت مواقفه
مشهودة في خدمة الإسلام، وفي الانتصار للإسلام، وفي عَرْض
دين الله، وفي تفسير القرآن العظيم، وإن كانت له بعض المواقف
التي أنكرت عليه؛ كما ذكر شيخنا الخليلي: بأنَّ مدرسته
الإصلاحية قامت بدورٍ كبيرٍ في توعية المسلمين، وفي إصلاح
الأوضاع، وفي نقلهم من الجمود إلى الانطلاق، وفي إعادة فتح
باب الاجتهاد في كثيرٍ من القطاعات عند بعض المذاهب التي
أغلقت ذلك، وإن لم يكن مغلَقًا عندنا معشر أهل الاستقامة.

ولكن تؤخذ عليه بعض الأمور، ومنها: تأثره ببعض الأفكار
الغريبة بطريقة غير مقبولة، ومنها: تفسيره للملائكة بأنها مجرد
أرواح، وقد ردَّ عليه شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى - في
برهان الحق، وفي غيره، ونَبَّه على ذلك أيضًا في جواهر التفسير.
وكذلك انتقده فيما عُرِف بتفسيره الطير الأبايل بأنَّه مرض
الجدري.

وقد استنكر عليه هذا كثيرٌ من العلماء؛ لأنَّه لا دليل عليه،
ولعله دُفِعَ إلى ذلك؛ لكي يُقنِعَ الغرب بهذا الأمر، فأثني للغربي

أَنْ يَتَقَبَّلَ أَنْ طَيْرًا جَاءَتْ - كما يقولون - مَنْ لَا مَكَانَ؛ لِنَتَلَقِيَ بِحِجَارَةٍ عَلَى أَنَاسٍ مُعَيَّنِينَ؛ فَالْفِكْرُ الْغَرْبِيُّ الْمَادِي لَا يَسْتَقْبِلُ مِثْلَ هَذَا، وَهَذَا انْسِيَاقٌ، وَهَزِيمَةٌ نَفْسِيَّةٌ، وَمُعَارَضَةٌ لِلدَّلِيلِ غَيْرُ مُقْبُولَةٍ.

وَبَعْضُ الشَّبَابِ الْآنَ يَتَصَدَّرُونَ الْمَشْهَدَ، وَيَكْتُبُونَ بِاسْمِ الْعُقُلَانِيَّةِ، وَبَلَّغَ بِهِمُ الْأَمْرَ بِأَنْ يَجْعَلُوا الْأَدْيَانَ كُلَّهَا فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ، الْإِسْلَامَ مَعَ غَيْرِهِ، وَبِاسْمِ الْانْفِتَاحِ وَالْحَرِيَّةِ يَعْذُرُونَ، أَوْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ تَعْذِرُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا كَانَ قَدْ اجْتَهَدَ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِيقَةِ، وَلَوْ عَبَدَ الْبَقَرَ، وَلَوْ كَانَ بُؤْذِيًّا، وَيَسْتَعْمَلُونَ الشُّعَارَ الْإِنْسَانِيَّ؛ لِلِاجْتِمَاعِ مَعَ النَّاسِ، وَفِي النِّهَايَةِ يَتَقَوَّلُونَ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

وَلِيَتِمَّ تَرْكُوكُ الدِّينِ، وَتَرْكُوكُ التَّحَدُّثِ بِاسْمِ الْقُرْآنِ؛ كَمَا ذَكَرَ شَيْخُنَا الْخَلِيلِيُّ؛ لِأَنَّهُمْ أَبْعَدَ مَا يَكُونُونَ عَنْ ذَلِكَ، فَالَّذِي يَتَكَلَّمُ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَفِي تَفْسِيرِ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّمَا الْعَالَمُ الْمَجْتَهِدُ، التَّقِيُّ، الْوَرَعُ، الْمُذْرِكُ لِلْوَاقِعِ، الْغَيُورُ عَلَى الْأُمَّةِ، وَلَيْسَ مَنْ يَجْمَعُ هَذِهِ الصِّفَاتِ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

المظهر السابع: المؤتمرات المشبوهة:

وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ دَعَوَاتٍ تَظْهَرُ عَلَى شَكْلِ مُؤْتِمَرَاتٍ، وَتَبْتُ هَذِهِ الْمُوْتِمَرَاتِ أَفْكَارًا مُعَيَّنَةً، وَمِنْ هَذِهِ الْمُوْتِمَرَاتِ مَا يَدْعُو إِلَى وَخْذَةِ الْأَدْيَانِ، وَهَذِهِ دَعْوَةٌ قَدِيمَةٌ دَعَا إِلَيْهَا بَعْضُ النَّاسِ.

والعجب أن تكون في كلام ابن العربي الصوفي المشهور؛ فعنده هذه الفكرة، وانتقِدت عليه من طائفة من العلماء، وإن كان بعضهم يحاول أن يدافع عنه، وأنه لم يقصد ذلك.

وهذا الأمر مخالفٌ للأدلة القطعية من كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ؛ فحينما يجتمع بعض الناس في مجمع، أو في مؤتمر، أو في غرفة، أو تحت أي شعار؛ ليجعلوا الناس على دين واحد حسب ما يريدون؛ فيجتمع عندهم اليهودي، والنصراني، والمسلم، وربما ضُمُّوا إليه البوذي، وتارة الهندوسي، وتارة الملحد أيضًا، ويُسمَّونَ ذلك وَخْدَةَ الأديان، وتارة يحصرونها في الأديان السماوية؛ فيضمون ويجمعون بين الإسلام واليهودية والنصرانية، وهذا كان شعار الماسونية في فترة من الفترات فيما يُعرَفُ بالأخوة على هذا النحو، وعلى هذا القدر من المساواة.

وقد اغترَّ بذلك بعض الناس، وهذا أمرٌ خطيرٌ؛ لأنَّه يتضمنُ التنازل عن قواعد الدين، وعن مبادئه؛ فإنَّ الله ﷻ جعل الدين الإسلامي هو الدين الذي يتقبَّله دون غيره.

نعم، نحن ندعو إلى وَخْدَةِ الدِّينِ؛ لأنَّ الدِّينَ واحدٌ، وهذا حقٌّ، وهذه دعوة الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

فالدِّينُ واحدٌ، ولكنَّ هذا الدِّينَ يقوم على توحيد الله تعالى، وعلى الإيمان بجميع أنبياء الله تعالى ورسله، وعلى الإيمان باليوم الآخر، وعلى القِيم والأخلاق الحميدة، وعلى عبادة الله تعالى وطاعته، وعدم الإشراك معه؛ فهذا هو الدِّينُ، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وهذا الدِّينُ هو دينُ إبراهيم، ودينُ موسى، ودينُ عيسى، وهو نفسه دينُ محمد ﷺ، لا فرق بينها، ﴿لَا تَفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ولذلك سَمَّاهم الله تعالى جميعًا المسلمين؛ ﴿هُوَ سَمَنَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، واعتبر إبراهيم حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿[آل عمران: ٦٧].

وكانت تلك وصية إبراهيم عليه السلام، ووصية يعقوب أيضًا لبنيه، وذلك معروف بالآيات الكثيرة في هذا.

ووصف الله تعالى طائفةً من النبيين بهذا الوصف، وذكر بأن التوراة يحكم بها النبيون الذين أسلموا، والآيات في ذلك كثيرة. فهذا هو الدِّينُ الحق الذي ندعو إليه، أما أن يُؤْتَى مِنَ الإسلام بشيء، ويؤْتَى مِنَ النصرانية المحرَّفة بشيء، وليست بعد المسيح والموحدين، الذين يعتبرونه عبدًا لله تعالى، ورسولًا له

سبحانه، وإنما يأتون بنصرانية مُحَرَّفة لم يدعُ إليها عيسى عليه السلام، ويأتون بالتثليث، أو يأتون بأنَّ المسيح هو الله، أو يأتون بأفكار أخرى مخالفة تتعلق بروح القدس، أو بمريم عليها السلام، أو يقولون: غُزِّيَ ابن الله، أو يأتون بتلك الأفكار التي فيها انتقاصٌ للأنبياء، وانتقاصٌ لله تعالى فيما يتعلَّقُ بالتشبيه، وغير ذلك من قِبل اليهود، أو غيرهم، فهذا لا يمكن أن يُقبَلَ؛ فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَتَّاهَلُوكَ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فلا مساومة في هذا، وما يُدعى إليه بهذه الصورة إنما هو دعوة إلى الإلحاد بدين الله تعالى؛ وذلك بإنكار أمور معلومة من الدين بالضرورة.

وحين لم يستطع الغرب تحقيق هدفهم في وَحْدَةِ الأديان حاولوا فكرة أخرى؛ وهي ما عُرفت بالتقارب بين الأديان، فنشروا هذه الفكرة، وقالوا: نحن لا نريد وَحْدَةَ الأديان، وإنما نحاول أن نقارب بين الأديان.

فالفكرة الأولى أن يكون هناك دين واحد، يلتحم فيه الجميع، وَيَتَخَلَّوْنَ عن الإسلام، والنصرانية، واليهودية، وهذه الفكرة الأخرى تكون بالتقارب.

وقد ينطبق عليها ما ذكرته سابقًا، وهي أقرب إليها؛ وذلك أن يكون هناك جزء من دين الإسلام، وجزء من كذا، أي: يتخلّى المسلمون مثلاً عن فكرة الجهاد، ويتخلّون عن فكرة تكفير مَنْ لم يكن مسلمًا، ويتخلّون عن فكرة ضرورة الإيمان بالقرآن، ويحصر المسلمون الإسلام في علاقتهم بالله ﷻ، وبين جدران المسجد فقط، ولا دخل للإسلام في واقع الحياة، أي: إنها عِلْمَانِيَّة!! وهكذا يقوم الآخرون بشيء من ذلك التقارب.

ويُردُّ على هذا نفس الفكرة السابقة التي تقدّمت، بل ينطبق عليها ما تقدّم، وهو باطل أيضًا.

وللأسف الشديد انخدع بعض الناس بذلك، ووقعوا فيه؛ لأنهم لم يفهموا بعض الآيات القرآنية؛ كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]؛ فظنوا أن هذه الآية تدعو إلى الاعتراف بهذه الأديان المحرّفة، وأنه لا حرج في تعدد الأديان، وأنه لا حرج في تقارب المسلمين وبينها.

فهؤلاء لم يفهموا هذه الآية الكريمة، فهذه الآية لا تدل على مرادهم؛ لأن الآية كما قال بعض أهل العلم: إنما تتحدّث عن أولئك المؤمنين من أصحاب هذه الرسالات السماوية، في عهود

أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام، فقد كانوا جميعًا مسلمين، وكانوا جميعًا مؤمنين.

فالمسلمون بالنسبة إليهم أيضًا هم إخوة لديهم، وهم مؤمنون أيضًا، وإن أخذوا شعار الذين آمنوا في هذه الأمة، تخصيصًا لهم بينهم بذلك؛ لأنه اكتمل لديهم الدينُ ببعثة سيدنا محمد ﷺ، وتشريعًا لهم.

لكن أولئك السابقين لا يُكَلَّفُونَ بالإيمان بالنبي ﷺ عندما لم تقم عليهم الحجة؛ فالإنسان يُكَلَّفُ بما قامت عليه الحجة، وما لم تقم عليه الحجة فهو معذورٌ عنه على هذا النحو ما داموا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

وَمَنْ كَانُوا مِنْ أَتْبَاعِ مُوسَى بِحَقِّهِ، وَمِنْ أَتْبَاعِ عِيسَى بِحَقِّهِ فَإِنَّهُمْ يُؤْخَذُونَ اللَّهُ تَعَالَى، وَيُؤْمِنُونَ بِنُبُوَّةِ هَؤُلَاءِ النَّبِيِّينَ، وَيَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ.

فهذه الآية تتحدّث عن هؤلاء، وليس عن الذين كفروا وحرّفوا الدينَ، وقالوا: المسيح ابن الله، وقالوا: إنّ الله ثالث ثلاثة، وقالوا: إنّ الله هو المسيح ابن مريم، أو اتّخذوا رهبانهم أربابًا من دون الله، أو الذين قالوا: عزيز ابن الله، أو الذين يعملون السيئات والعياذ بالله، ويقتلون، وينهبون، ويأكلون الربا، ويشربون الخمر، ويفعلون الفواحش؛ فهؤلاء لا يدخلون في هذه الآية الكريمة.

وكذلك قال بعض أهل العلم: إنَّ هذه الآية أيضًا قد تدل على مَنْ لم تقم عليه الحجة ببعثة سيدنا محمد ﷺ، أو بكتابه القرآن الذي أنزله الله تعالى عليه، ولو كانوا بعد بعثة النبي ﷺ؛ لأنَّه كما تقدَّم إنما يُكَلَّفُ المرء بعد قيام الحجة.

فلو قُدِّرَ في هذا العصر مثلاً أن يُوجَدَ شخصٌ آمن بالله وباليوم الآخر، وعمل صالحاً حسب ما بلغه من تشريع الله تعالى على أيِّ نبيٍّ من أنبيائه، ولم يُنكِرْ نبوة شخص اسمه محمد، ولا أنكر القرآن وما خوطب بذلك، ولا خاض، ولا فعل؛ لأنَّه لم تقم عليه الحجة بذلك، وبقي على التوحيد.

فلو قُدِّرَ حصول ذلك لأحدٍ فإنَّه يَسْلَمُ بإذن الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

لكن مَنْ قامت عليه الحجة فلا يُعَذَّرُ أبداً؛ فإنَّ الله تعالى لم يعذره في كتابه؛ فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [البينة: ٦]، فلم يعذَّرْ أهل الكتاب.

بل حَذَّرَ من أهل الكتاب الذين قامت عليهم الحجة، وأصْرُوا على ما هم عليه.

ولو قُدِّرَ أنهم مؤمنون حقاً بـعيسى عليه السلام، وبموسى عليه السلام، وبالكتاب الذي أنزل عليهما، وعَمِلُوا بما فيهما، ولكنهم أنكروا نبوة محمد ﷺ، أو أنكروا كتابه القرآن الذي أنزل من

عند الله، فقد حَذَرَ من اتباعهم أيضاً؛ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١]، وقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فإن هؤلاء على باطل، وليسوا على حق، ولا يُعَذَّرُونَ في ذلك؛ فكيف يُقَالُ: بالتقارب بين الأديان؛ بزعم أن الإسلام إنما هو دين محمد ﷺ، واليهودية هي دين موسى عليه السلام، وموسى من نسل يوسف؛ لأنه من الأسباط.

أو من الأسباط، وليس من نسل يوسف بالضبط كما قيل.

نعم، هو من الأسباط؛ من أبناء يعقوب، ويعقوب يرجع نسبه إلى إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام جميعاً.

وكذا عيسى عليه السلام؛ على حسب ما يزعمون طبعاً، وأنهم من بني إسرائيل، مع أن الله تعالى جعل ميلاده آيةً، إلا إذا نُسِبَ إلى أمه.

فهم يقولون: بأننا أبناء عمومة؛ لأنَّ محمداً ﷺ يرجع نسبه إلى قريش، وقريش من أولاد إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل من إبراهيم؛ فنحن أبناء عمومة، فإذا نتقارب فيما بيننا.

ونحن نقول: نعم تقارب في النسب، ولكن في الدين لا؛ فالله تعالى يقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٦﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [آل عمران: ٦٧ - ٦٨].

فالصلة بإبراهيم عليه السلام إنما هي صلة مبدأ، وليست صلة نسب، فإن كانوا يريدون النسب فأهلاً، وسهلاً، ومرحباً بهم، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، فلسنا ممن يدعو إلى قطيعة الرحم، ولكن إن كانوا يدعون إلى التآخي على ذلك دون النظر إلى الدين فهم أبعد ما يكونون عن الحق.

فكيف يكون هنالك تقارب مع أن الدين من الله، وليس للإنسان التصرف فيه، سواء كان مسلماً، أو غير ذلك، والله تعالى يقول: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]، فهو الذي شرع، وكما يقول العلماء: إِنَّ الدِّينَ وَضَعَ إِلَهِي سَائِغٌ لِّذَوِي الْعُقُولِ السَّالِمَةِ باختياره المحمود لما هو خيرٌ لهم بالذات.

ووضع إلهي: أي من الله، والله تعالى يقول للنبي ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ويقول المولى ﷺ أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١]، فليس الأمر للنبي ﷺ، فضلاً عن غيره؛ فكيف يتنازل أحدٌ عن الدين؟!!

وذلك كما يتنازل بعض الناس اليوم عن فلسطين، أو عن جزء منها كأنَّ الأمر إليه، وهو ليس إليه؛ فإنَّ الله تعالى لم يجعل فلسطين ملكًا لفلان، أو حزب، أو دولة معينة؛ ليتنازل عنها لمن شاء، كما أعطى من قبل من يملك لمن لا يستحق، وأعطاه ما لا يملك أيضًا، وذلك حين قامت بريطانيا - وتُسمى العظمى - بجعل فلسطين وطنًا لليهود في وعد بلفور؛ كما هو معلوم سنة ١٩١٧م.

فليس لها الحق في ذلك، وليس لغيرها أيضًا، لا باسم عربي، ولا باسم إسلامي؛ لأنها بلادٌ مُقدَّسة، وقد ائتمن الله تعالى هذه الأمة على هذه المقدسات، ولا يملك أحدٌ التصرف فيها.

وبعد أن رأوا فشلهم في تلك الأفكار لجأوا إلى ما يُعرَفُ بحوار الأديان.

ولا أستطيع أن أقول: إنَّ حوار الأديان يؤدِّي إلى الإلحاد.

ونحن ندعو إلى الحوار، ولكن ينبغي أن يكون هؤلاء المحاورون من المسلمين مُتَّبِعِينَ؛ لأنِّي حضرت في الحقيقة بعض هذه المؤتمرات؛ حضرت مؤتمر حوار الأديان السابع في الدوحة، ومؤتمر حوار الأديان الثامن أيضًا في الدوحة في فندق شيراتون، حضرتها بنفسِي.

وقد حصل هناك حوارٌ مع أصحاب ديانات مختلفة، وأفكار مختلفة، ولكن تَبَيَّنَ من بعد أن طائفةً من المجتمعين إنما يريدون تسويغ فكرهم، وتسويغ دياناتهم، ويريدون الاعتراف لهم بما هم عليه من باطل، مع أنهم لا يعترفون بالمسلمين أصلاً.

فلا يعترفون بنبوة سيدنا محمد ﷺ، ولا يعترفون بالقرآن أصلاً، مع أننا من ديننا الإيمان بنبوة موسى، والإيمان بنبوة عيسى عليه السلام، والإيمان بالتوراة وبالإنجيل، وأنها من عند الله، ومن لم يؤمن بشيء من ذلك فهو غير مؤمن عندنا؛ بل كافر، لكنهم لا يفعلون الشيء نفسه تجاهنا، وإلى الآن لا يعترفون بهذا الدين، ولا بنبوة محمد ﷺ، ولا بمعجزة القرآن؛ فهم يريدون تسويغ الظلم الذي يفعلونه.

ورأينا منهم تارة يذكرون فلسطين، وأن لهم الحق في المكث فيها، وأن المقاومة التي يُقاوَمُونَ بها إنما هي إرهابٌ، وأنه يجب أن تُدَانَ، وأن ما فعلوه ويفعلونه في غزة وفي غيرها هو حقٌّ من حقوقهم، ودفاعٌ عن أنفسهم، وأن الصهيونية العالمية هي المبدأ الذي يعتنقونه.

ونُشِرَ بعد ذلك بيانٌ من أهل العلم، وهم الذين كانوا يحضرون هذه المؤتمرات، ومنهم الشيخ يوسف القرضاوي؛ مُنْذَرًا بهذا المؤتمر، وأنه لا يمكن أن يُجْتَمَعَ بهم، وأنه لا يُشْرَعُ هذا النوع من اللقاءات، وأنه يُتَّخَذُ ستارًا لغزو بلاد المسلمين،

والسيطرة عليها، فأوقفت المؤتمر من حينها، واستُبدِلَ به حوار الحضارات، أو حوار كذا، والله أعلم بها.

ونحن ندعو إلى الحوار، وإلى الجدل بالتي هي أحسن، ولكن وفق الضوابط الشرعية؛ وذلك لأجل إيصال رسالة الإسلام إلى الناس جميعاً، وللتعاون، فلا حرج فيما يصلح للإنسانية؛ كما قال النبي ﷺ في حلف الفضول: «وَلَوْ دُعِيََتْ بِهِ الْيَوْمَ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ»^(١).

فلو اجتمع الناس على اختلاف دياناتهم؛ لنصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وإعانة الفقراء والمساكين، ولعلاج المرضى، وإغاثة المنكوبين، وللنظر في مصالح هذا العالم، وهذا الكوكب؛ كالاحتباس الحراري، وكيفية القضاء عليه، ولتحقيق العدالة في الأمم، وللقضاء على الفساد، فنحن معهم، وندعو إلى ذلك إن شاء الله تعالى، وننطلق لذلك باسم الإسلام.

المظهر الثامن: الحرية المطلقة، أو ما يُعرف بالديمقراطية:
وهذا أمرٌ قد اغترَّ به الكثيرون، وصاروا يُنادُونَ به، وهم من المسلمين، ويحملون أسماء إسلامية، ويتصوِّرون أنهم على حق، وأنهم لا ينايذون بذلك دين الله ﷻ.

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر في فتح الباري، باب: قول الله ﷻ: «وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُم نَصِيْبُهُمْ»، ج ٤، ص ٤٧٢.

وهذا قد يعود تارة إلى مفهوم الديمقراطية في أذهانهم؛ فربما يفهمون الديمقراطية على أنها مجرد إجراء انتخابي، أو صناديق الاقتراع، أو أنها تعني: حرية الناس في اختيار مَنْ يحكمهم، أو مَنْ يُمثِّلهم في مجالس الشورى، أو فيما يُسمَّى بالبرلمانات، فهذه العملية الانتخابية يُطَلِّقون عليها الديمقراطية، ويقتصرون على ذلك؛ ويريدون بذلك القضاء على ما عُرفَ بالاستبداد، والتسلط، والوراثة في الحكم، ونحو ذلك.

فإن نُظِرَ إلى هذا الأمر من هذا المنظار الضيّق، فقد يكون لهم عذر؛ لأنَّ هذه وسيلة في اختيار الحاكم، والإسلام جعل هذا الأمر مفتوحًا، فلا مانع - كما نصَّ على ذلك أهل العلم - في اختيار الناس مَنْ يُمثِّلهم على جميع المستويات بهذه الطريقة والوسيلة.

وحتى في البيت الواحد، ربما يُجْزَى انتخاب، وفي المدرسة، في مجمع أولياء الأمور، وفي المجالس المحلية، وفي مجلس السوق، إلى آخر ذلك.

فلا مانع من ذلك، فهذه وسيلة وإجراء، والأمر فيها واسع إن شاء الله.

لكن هؤلاء ربما غاب عنهم ما ذَكَرَهُ مؤسسو الديمقراطية، ومفكروها، وأقطابها حتى في هذا العصر، وَمَنْ رجع إلى شيء من ذلك وَجَدَ الأمر واضحًا؛ فإنَّ هؤلاء يَعْنُونَ تارة بالديمقراطية بأنَّها:

حكم الشعب للشعب، أو حكم الناس بالناس، أي: أن الناس يحكمون أنفسهم بما يَتَّفِقُونَ عليه، وحسب الطريقة التي يريدونها.

فلو اختاروا أن ينبذوا أيَّ دينٍ فلهم الحقُّ في ذلك، ولو اختاروا أن يكفروا بالله تعالى فلهم ذلك، ولو اختاروا أن يُشَرِّعُوا الفساد فلهم ذلك؛ كأن يبيحوا الخمر، وأن يبيحوا الزنا، وأن يفعلوا ما شاءوا فلهم ذلك.

فهل هذا يسوغ في دينِ الله تعالى قيدَ ذرة، أو قيدَ أنملة، أو لحظة؟!!

أليس هذا هدمًا للدين، ومنازعةً لله تعالى في ملكة وحاكميته؟!!

فهذا تعريف بعض هؤلاء للديمقراطية.

وبعضهم يجعل الديمقراطية: هي الحرية، فبعض الأحزاب العالمية الآن كما هو معروف عنها؛ مثلاً: الحزب الديمقراطي في بعض البلاد هو حزب تحرر، ويأتون بكلمة معروفة في هذا هي Liberalism: التحرر، ومفرده بالإنجليزية liberal، ويعني: الحرية، ويعنون بذلك: الحرية المطلقة.

ولذلك استعملت هذه الكلمة هنا، وهذا يعني: عدم الالتزام بأيّ ثوابت، أو أحكام، أو ضوابط؛ وإنما هو اتباعٌ للهوى، ولذلك إلى الآن يوجد خصامٌ بين هذه الأحزاب.

وبعض الأحزاب التي ترفع شعار الدين على الأقل في هذه الدول المختلفة؛ سواء في أوروبا، أو أمريكا، أو غيرها، يكون هناك نزاعٌ بينها فيما يتعلق بقضايا معينة كحق الإجهاض مثلاً، فبعض الأحزاب الدينية ترى الإجهاض محرماً؛ ولكن هذا الحزب الديمقراطي يعتبره مُجَازاً؛ لأن المرأة الحامل لها الحق في التصرف في جسدها، وهذا الولد هو جزء منها، فلها أن تُبقيّه، ولها أن تُسقطه. وهناك قضية المثليين، وهو ما يعرف بالشذوذ الجنسي.

فهذه الأحزاب الديمقراطية المتحررة تُبيحُ الشذوذ الجنسي، وتُبيحُ السحاق، العلاقة الجنسية الحميمة بين المرأة والمرأة، والعلاقة الجنسية بين الرجل وبين الرجل، فلا ترى في ذلك غضاظة؛ لأنّ هذا هو اتباع الهوى.

بينما بعض الأحزاب التي تنتمي إلى الدين - عندهم حسب أصول الدين عندهم - لا زالت تُعارضُ هذا، وتعتبر هذا مخالفاً للفترة، ومُحرّماً في الدين، ولا زال عند النصارى تحريمٌ لهذا، واليهود لا يجيزون هذا الأمر أيضاً، وإن كانت بعض فرق اليهود تحلله.

بينما الأحزاب الديمقراطية التحررية تعتبر هذا من حقوق الإنسان، وتنطلق من هذا المبدأ في فعل أي شيء للإنسان؛ لأنها تدور حول الإنسان، فكأنما تجعله إلهاً؛ فهو يفعل ما يشاء.

وأتباع هذه الأحزاب غالبًا لا يؤمنون بالدين، وإن كان بعضهم يتمسحُ به، ويذهب إلى دور العبادة، أو يعترف بوجود الله، ولكن لا يعترف بوجوده في الحياة كما تقدّم؛ لأنّ هذه الأحزاب جميعًا تدور في فكر علماني، حتى عند مَنْ تمسحَ بالدين منها، أيًا كان هذا الدين.

فإذن هذا خطر عظيم!!

وكيف إذا كان هذا الأمر يتعلّق بتحكيم أشخاص في البلاد الإسلامية لا يؤمنون بالإسلام أيضًا؛ تحت مسمى الديمقراطية، مع أنّ شرط الإسلام شرط صحة في الحاكم في البلاد الإسلامية، فلا يجوز أبدًا بالنص والإجماع أن يحكم المسلمين شخص غير مسلم.

ولكن تحت مُسمّى الديمقراطية هؤلاء جميعًا مواطنون، وما دام هؤلاء المواطنون مِنْ أيّ دينٍ فلهم الحق في الترشح والانتخاب، وإن فاز أحدهم، أو اختيرَ من قبل الجمهور - أي: العبرة بالأغلبية - فله الحق أن يتولّى، وأن يحكم المسلمين، وأن يختار الحكم الذي يريده، والوزارات، والأفراد الذين يختارهم في تولّي الحقائق الوزارية المختلفة، أو قيادة الجيوش، والأجهزة الأمنية، والعسكرية.

أليس هذا أمرًا خطيرًا على الأمة؟!

وهؤلاء الذين يدعون الديمقراطية يُصَرِّحون بذلك، وعندما ظهرت بعض المظاهرات، والاعتصامات طَالَِبَ بعضهم - من أصحاب التيار الديمقراطي، أو العقلاني، أو الحداثي - بهذه الأمور، وكانوا يُطَالِبُونَ، ومن أهم مطالباتهم إباحة الخمر في البلاد العربية الإسلامية!!

ومنها بلدنا هذا؛ وذلك حتى تُبَاحَ لكلِّ أحد، ولا يُخَجَرُ عليها، أو لا يُخَصُّ بها طائفة من الناس، وكانوا يُطَالِبُونَ بإباحة العلاقات الجنسية؛ فليس هناك حُرْمَةٌ للزواج، وإنما يُبَاحُ الزنا، أو يجعل اختيارًا ما دام عن رضا من الطرفين؛ اعتمادًا على بعض الاتفاقيات الدَّوْلِيَّة، التي وافقت عليها بعض الدول، مع ما في ذلك من مخالفةٍ للنصوص القطعية، ولدينِ الله تعالى الإسلام.

فإذن المسألة خطيرة، وبهذا المفهوم فإن الديمقراطية تُوافِقُ الإلحاد، خاصة أنَّها تُشَرِّعُهُ؛ فلا حرج أن يكون المرء مُلْحِدًا؛ إذ لا يُعْتَبَرُ الإلحاد جريمة، وإنما هو حرية رأي، ولا حرج في الدعوة إلى الإلحاد، ونشره؛ فهذه حرية تعبير.

وإن قام أحدٌ ضدَّ هؤلاء فهو الذي يجب أن يُنكَرَ عليه؛ لأنَّه هو المخالف للقانون، أو الدستور، فينقلب الحق باطلاً، والباطل حقًا، وينتشر الظلم والفساد، وتنقلب الأمة إلى أمة ملحدة، ولنتنظر فقط عقدًا، أو عقدين، فلن يبقى لهذه الأمة شيء، فيجب الحذر من ذلك.

أَمَّا إِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى بالديمقراطية الإسلامية، بالمفهوم الذي نفهمه من الشورى الإسلامية، ومن الانتخاب بالضوابط الإسلامية، فلا مانع من ذلك؛ كما قام بذلك الكاتب الكبير الأستاذ الراحل حسين غباش في كتابه عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث.

وَجَعَلَ عمان بتجربتها الإباضية في الحكم نموذجًا للعالم كله في الديمقراطية الحقيقية، التي تُعْطِي الإنسان حقَّه، وتقوم بنشر مبادئ العدل، ونشر القيم الإسلامية الأصيلة، وتُعْطِي الناس الحرية في اختيار مَنْ يريدون، إلى أَنْ وصل فجعل هذا النموذج حقًّا للإنسانية، وليس حكرًا على عمان، أو أهلها، أو المذهب الإباضي. وإنما قال: هذه تجربة تتعدى الأمة الإسلامية؛ لتكون تجربة إنسانية، وتجربة بشرية حضارية على مدى التاريخ.

وقد اعتبرها أطول مدة حضارية في تطبيق الديمقراطية في تاريخ البشرية، وإن وُجِدَتْ بعض الأحيان في بعض البلاد في العالم، ولكنها لم تمتد على هذا النحو ما يَقْرُبُ من ألف عام. فضلًا عن النماذج الراقية التي فيها، فإذا كانت بهذا النحو فلا مانع إن شاء الله تعالى على ما يقول بعض أهل العلم.

وإن كان بعضهم: لا يحب تسمية الديمقراطية مطلقًا؛ لما فيها من خلفية ذهنية، وَيُفَضَّلُ استعمال الشورى الإسلامية، وهذا أولى؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

المحور الرابع: علاج الإلحاد



وهي عبارة عن أفكارٍ واقتراحاتٍ تَوَصَّلْتُ إليها - بعد فضل الله تعالى وتوفيقه - من خلال مطالعة بعض الكتب في هذا المجال، وخاصة كتاب شيخنا العلامة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله تعالى.

والمجال مفتوح للزيادة، ولتراعي كلُّ أمة، وكلُّ مجتمعٍ ما يناسبه؛ فالداعية المسلم طيب نفسه.

والهدف من تناول هذا الموضوع هو أن نتعاون فيما بيننا لعلاج هذه الظاهرة، وللقضاء عليها من جذورها بإذن الله تعالى؛ ولذلك توسَّعتُ بعض الشيء في الجوانب المختلفة، ولم أتعرَّض كثيراً لشبهات الملاحدة؛ فإنَّ هذا له مجالاته، وله وقته. وإنَّ أصرَّ على ذلك فعسى الله أن يُوفِّقَنِي لعرض هذه الشبهات مع الرد عليها في موطن آخر.

وقد تكفَّل بذلك طائفة من العلماء والباحثين، ومنهم شيخنا الخليلي في برهان الحق، وفي مصرع الإلحاد، وكذا غيره، لمن أراد الهداية إن شاء الله تعالى.

العلاج الأول: غرس المفاهيم الإيمانية:

وهذا أمرٌ ضروري، فالوقاية خيرٌ من العلاج، ويجب أن نقوم بذلك على وجهٍ صحيح؛ وذلك باتباع الأسلوب القرآني في غرس القيم، والمفاهيم الإيمانية، فللقرآن أسلوبه الخاص في ذلك؛ لأنه كلام الله تعالى، أنزله بعلمه، وأسلوبه معجز، وقد تكفل ببيان ذلك أهل العلم.

فإذن يُزَجَّع إلى هذا الأمر؛ ليتشبعه الدعاة، والمرثون، وولاة الأمر، والمدرسون، والقائمون بوسائل الإعلام المختلفة، وكلُّ مسؤول، «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١)؛ ليقوم بهذا الأمر في نفسه، وفيمن يعوله، أو تحت ولايته، فهو مأمور بذلك، فمثلاً لقمان عليه السلام ضَرَبَهُ اللهُ تعالى مثلاً في هذا المجال.

وتوجد أمثلة أخرى كثيرة في القرآن الكريم، وكُتِبَتْ في ذلك بحوث، ومؤلفات، فلنرجع إليها.

لكن يجب غرس المفاهيم الإيمانية في نفوس الناشئة خاصة، ويساعدنا على ذلك أنها الفطرة؛ فالأطفال يتقبلون، ويساعدنا المجتمع أيضاً والحمد لله؛ لأننا لا زلنا نعيش في مجتمع محافظ، ليس مثل المجتمعات الغربية، التي بعدت عليها

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، رقم: ٨٩٣.

الشقة، واختفى عنها الدينُ الحق منذ قرون، ولم ترَ النموذج
الإيماني الصحيح في الواقع، بل تَشَوَّهَتْ صورة الدين لديها، أو
أنها تَمَرَّغَتْ في أحوال الرذيلة، أو أَنَّ الأفكار الإلحادية قد
عَشَّشَتْ في أذهان مُفكريها، ومُنْظَرِيها، وعلماء الاجتماع فيها،
وساستها، وقادتها، ورؤساء جامعاتها، ومدرسيها، وغيرهم،
والقائمين على وسائل الإعلام عندهم.

فضلاً عن المؤسسات التي تُشَرِّعُ للإلحاد باسم القضاء،
والقانون، وغير ذلك.

فلا يزال مجتمعنا محافظاً فتياً مؤمناً والحمد لله، وإنْ ظَهَرَ
فيه بعض الأفراد، أو أصبح ظاهرة نوعاً ما في وقتٍ من
الأوقات، إلَّا أَنَّ الغالبية العظمى - والحمد لله - فيها خيرٌ، ومن
السهولة بمكان بإذن الله تعالى تربيته إيماناً بالمفاهيم الإيمانية
الصحيحة؛ من كتاب الله ﷻ، ومن سنة رسوله ﷺ؛ لأنَّ
النبي ﷺ خير مَنْ طَبَّقَ القرآن، والله ﷻ يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي
رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾
[الأحزاب: ٢١].

وهذا لا يعني: عدم الرجوع إلى سنة النبي ﷺ، بل يجب
الرجوع إليها أيضاً؛ وذلك لنتشرب منها تطبيق منهاج القرآن،
وما ورد فيها، ففيها الخير الكثير، حتى تَخْرُجَ على يد النبي ﷺ
ذلكم الجيل من الصحابة رضوان الله عليهم، الذي عدَّه الله خير

أمة أُخْرِجَتْ للناس، وما عرف التاريخ فاتحاً أرحم منه، ولا مثله، كما قال جوستاف لوبون المؤرخ الفرنسي: «ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب»، ويعني بذلك: المسلمين.

العلاجُ الثاني: التربيةُ على القيم والأخلاق:

وهذا ضروري؛ لأنه سياجٌ للمحافظة على المفاهيم الإيمانية، وعدم الانزلاق وراء الإلحاد، وعدم التأثير بوسائل الإلحاد التي سبقت الإشارة إليها.

وقد سبق أن من أساليب هؤلاء، ومن وسائلهم: إيقاع الناس في برائن الرذيلة؛ وذلك حتى يتحوّل الإنسان إلى حيوانٍ أهوج، لا يسعى إلا وراء شهواته، ثم حين تستحكم هذه الشهوات في تفكيره وتصرفاته لا يُبالِي عندها أن يدوس على الدّين، وأن يَتَنَكَّرَ للحقائق، وأن يُعرِضَ عن اليوم الآخر.

فإذن لا بد من التربية على القيم والأخلاق، ولأنّ في هذا أيضاً كشفاً لزيّف الملاحدة؛ لأنّ الملاحدة لا يَنْظُرُونَ على قيم وأخلاق، فيتميزون عن المجتمع المسلم المتربّي على القيم والأخلاق، فأبي خلق يرجع إليه هؤلاء؟! وهم لا يؤمنون بمبدأ، ولا يُراعون في الإنسان - فضلاً عن المؤمن - إلا ولا ذمة، ولا يعرفون له حرمة، ولا يخافون اليوم الآخر، بل لا يؤمنون به، ولا يخافون الله ﷻ، وإنما يتبعون شهواتهم.

وما أخلاقهم التي يَدْعُونَهَا إِلَّا مصالح آنية، وتختلف من حين إلى آخر، ويستطيع أحدهم أن يخالفها كما يشاء حسبما يراه من مصلحة متوهمة، وقد تكون غير حقيقية أصلاً، فهم يُشْرَعُونَ ما شاءوا.

فلا بد من التربية على القيم، والأخلاق، وهذا الدين إنما يقوم على القيم والأخلاق؛ كما يقول الله تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وكما قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

العلاج الثالث: تعميق الانتماء للإسلام وحضارته:

وذلك لقطع الطريق على الملاحدة وأعدائهم، الذين يريدون قطع صلة هذه الأمة عن تاريخها وحضارتها؛ فيجب أن يُعَمَّقَ الانتماء للإسلام في الناس، وأن يغاروا على الإسلام.

وذلك لا يُنَافِي أن يتعاملوا مع الآخرين باحترام وتقدير؛ فمع شدة إيمان المؤمنين إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لَهُمْ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، والنبي ﷺ يأمر بمعاملة الناس بحسن الخلق، ولو كان هذا الشخص كافراً.

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب: الشهادات، جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز، باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، رقم: ٢٠٨٣٩.

بل إن الله تعالى يأمر الولد بمعاملة والديه بإحسان ولو كانا مشركين، بل ولو دعواه للشرك؛ ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [القمان: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فهل هناك أمرٌ بأخلاقٍ أحسن من هذا لجميع الناس؟!

ولكن كما قلت: بأن الجهل هو آفة بعض الناس الذين لا يعرفون حقيقة دينهم؛ ولذلك لا يغارون عليه، ولا يعرفون حضارته، فتراهم يتأثرون بالعلمانيّة تارة، وبالديمقراطية تارة، وبالشُّيوعيّة والاشتراكية تارة، وبالدولة المدنيّة تارة؛ لأنّهم يجهلون حضارتهم، وقيمهم، وما أنجزه الإسلام.

نعم، ربما يكون لدى بعض المسلمين غَبْشٌ في التّصور، وعدم وضوح في الفكرة عن الإسلام؛ وذلك نتيجة للأفكار التي تلقّوها عن بعض مشايخهم، فعلى هؤلاء أن يرجعوا إلى الإسلام النقي الصافي، وأن يُحَرِّزُوا عقولهم من بعض الأفكار المخالفة للنصوص القطعية وإن ورثوها عن آبائهم؛ وذلك كبعض الأفكار التي تؤدّي إلى معارضة الأحكام القطعية مثلاً، فيما يتعلق بالسياسة، وغيرها من المجالات.

فبهذا - إن شاء الله - يكون التّصور عن الإسلام صحيحاً؛ فلا يَغْتَرُونَ بما عند الآخرين، وربما يُوسَّعون مداركهم للرجوع إلى بعض المدارس الإسلامية.

العلاج الرابع: ترسيخ العلوم الشرعية:

وذلك بنشرها، وبتفقيه الناس في الدين؛ لأن هذا فرض واجب، وفرض عيني على كل مسلم أن يعبد الله على علم، لا على جهل؛ فطلب العلم فريضة على كل مسلم، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، والتوحيد يقوم على العلم؛ فهذا واجب.

فكيف يفرط فيه أبناء المسلمين؟!

فيتعلمون العلوم المختلفة قبل التفقه في الدين؛ مع أن أول ما ينبغي أن يُتعلّم من علم الله القرآن.

نعم، نحن نقول: بتعلم العلوم المختلفة، وهذا من الدين، ويُعينُ على فهم القرآن، ويُعينُ على فهم سنة النبي ﷺ، ويُعينُ على تمكين المسلمين، وتقوية هذه الأمة، ويدخل في قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وهو كذلك من تطبيق خلافة الإنسان في هذه الأرض؛ كما أراد الله تعالى، ولكن يجب أن يكون ذلك بعد استيفاء القاعدة من الأحكام الشرعية التي تتعلق بالدين، وأمّهات الأخلاق،

والعبادات، والمعاملات، ثم بعد ذلك الانطلاق في العلوم الأخرى.

فهناك تقصيرٌ كبيرٌ في هذا، ولذلك يجب أن يُلْزَمَ جميع الطلبة بدراسة هذه العلوم؛ العقيدة، والفقه، ونحو ذلك من العلوم المتصلة بها، واللغة العربية أيضًا تُعين على ذلك، بل هي الطريق لفهم الدين، وبعد ذلك يتخصَّصون في المجالات النافعة والمفيدة.

لا أن يتعلَّموا العلوم التي لا فائدة منها؛ من الإلحاد، والزندقة، وتعظيم مَنْ حَقَّرَهُ اللهُ ﷻ من الملاحدة والمفسدين، وتعظيم كلامهم؛ لِيَقْدُمُوهُ على كلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ.

العلاج الخامس: فتح باب الاجتهاد والتجديد بضوابطه الشرعية:

وهذا مما ندعو إليه؛ لأننا ضد الجمود والتخلف، فيجب أن يُوسَّعَ هذا الباب، وأن يُعَلَّمَ الناس دينَ الله ﷻ، وأن يُعَلَّمُوا اللغة العربية، وجميع علوم الآلة التي تُخَرِّجُ علماء مجتهدين، يستطيعون بها فهم النصوص الشرعية، ويُدركون المقاصد الشرعية، ويُدركون أسرار التشريع، ويُدركون الواقع أيضًا.

فيقومون بعملية الاجتهاد والتجديد، ويُوَجِّهون أصحاب

العلوم الأخرى، ويُغَطُّونَ الحكم الشرعي للمستجدات؛ ومما أوقع بعض المسلمين في الرجوع للعلمانية، أو غيرها أنهم يجهلون الحكم الشرعي فيها، وأنهم لا يجدون الحكم الشرعي فيما يستجد من الأمور المعاصرة، خاصة أن العالم اليوم مُتَجَدِّدٌ، ومتسارعٌ في ذلك، فَقَدُوا الثقة بالدين، وفَقَدُوا الثقة بالعلماء الربانيين؛ فلجأوا إلى غيرهم، أو أَعْطَوْا أَحْكَامًا من تلقاء أنفسهم، وَسَوَّغُوا لأنفسهم ما لا يُبَيِّحُهُ الشرع، وإن كانوا في نياتهم على قصد حسن، لو سَلَّمْنَا لبعضهم بهذا.

فيجب أن يُفْتَحَ باب الاجتهاد والتجديد، ولكن بضوابطه الشرعية، لا كما يدعو إلى ذلك بعضهم: من فتح باب الاجتهاد والتجديد على الإطلاق؛ حتى برد النصوص القطعية، فهذا لا يمكن، فللاجهاد مجال، لكن ليس للاجهاد قدرة أو صلاحية أن يرد النصوص الشرعية القطعية في الثبوت وفي الدلالة، فليس له مجال في ذلك.

نعم، له أن يجتهد في تطبيق هذا النص على الواقع فيما يُعْرِفُ بتحقيق المناط.

وقد ذكرتُ في عشرة دروسٍ - في أحكام الاجتهاد والتقليد، لمن أراد الرجوع إليها - ما يتعلّق بهذا الأمر باستفاضة، وعسى أن يكون في ذلك فائدة، وأسأل الله تعالى ذلك.

العلاج السادس: التَّحَصُّنُ مِنَ الغزوِ الفكريِّ:

فيجب أن يُوعَى الناس بحقيقة الإلحاد على طريقته الواسعة التي تقدّم ذكرها، وصوره المختلفة، وأسباب الوقوع فيه، ووسائل نشره؛ حتى يكونوا على بَيِّنَةٍ من أمرهم، وحتى يُحَصِّنُوا أنفسهم، وَيُحَصِّنُوا أولادهم.

ويقوم بذلك جميع أفراد المجتمع؛ من مؤسسات رسمية، ومؤسسات أهليّة، ومؤسسات خاصّة، فيجب عليها أن تتعاون جميعا للقيام بهذا.

وأخصّ بالذكر مَنْ يُتَبَعُونَ للدارسة في بلادٍ غير إسلامية، أو بشكل عام، وحتى في بعض البلاد الإسلامية بعدما حصل لها كثيرٌ من التغير؛ فَوُجِدَ فيها تيارات تدعو إلى الإلحاد، وإلى الفساد، فهؤلاء يجب أن يكونوا مُحَصَّنِينَ، ولذا اقترحتُ أكثر من مرة أن لا يُوفَدَ أحدٌ من هؤلاء الطلبة إلّا بعد أن يدخل في دورة متخصصة في هذا المجال.

بحيث يُعرَفَ فيها بمفاهيم الإيمان، وبالقيم الخُلُقِيَّة، وبالانتماء لهذا الدِّينِ وحضارته، وبشَبهِ الملحدِين، وبكيفية الردِّ عليها، وبخطر الإلحاد، وبضرورة أن يبقى متصلاً بأهله وبالعلماء والدعاة؛ وذلك حتى يسألهم عمّا أشكل عليه، وحتى

يَتَقَفَّهُ في أمر دينه، ويستشيرهم فيما يواجهه، أو يلاقيه في المجتمع غير المسلم.

ولا يُعْطَى فرصة للسفر إلا بعد نيل هذه الشهادة، أو اجتيازه لهذه الدورة بنجاح.

وَيُزَاقَبُ بعد ذلك أيضًا من قبل البعثات التعليمية في مختلف البلاد التي يَدْرُسُ فيها، وتُنْتَقَى الجامعات في ذلك، وتُسْتَبْعَدُ الجامعات التي تَبَيَّنَ منها أو من منهاجها أو أسلوبها أنها تنقصُ أبناء المسلمين، وتُرِيدُ إفسادهم، وتغيير أفكارهم، أو تسمح لبعض المنظمات بالدُّخول والوصول إليهم في بيوتهم وسكناتهم؛ لأجل التأثير عليهم، فَتُسْتَبْعَدُ من القائمة.

كما يقوم القائمون على هذه البعثات التعليمية بمراقبة الطلبة في مستواهم التحصيلي العلمي، وفي أخلاقهم، وفي دينهم، قدر الطاقة؛ لتوجيههم، والمحافظة عليهم، وتَجْمَعُهُمْ في جمعيات خاصة بهم؛ حتى تُحَافِظَ عليهم.

وكلُّ ذلك مع الانفتاح على العالم، والاستفادة من الآخرين، ولكن بِقَدَرٍ؛ فنحن لا ندعو إلى الانغلاق، وإنما ندعو إلى الانفتاح، ولكن بعد أن يَتَخَصَّنَ هؤلاء الطلبة؛ ليعودوا ناشرين للفكر الصحيح، لا للفكر المغلوط.

العلاج السابع: إصلاح واقع الأمة سياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، إلخ:

وذلك حتى نقضي على الإلحاد بطريقة شاملة، وبطريقة عمليّة، لا أن يكون مجرد ترقيع فقط؛ يظهر الإلحاد فيطالب العلماء والدعاة بالتصدي لهذا الإلحاد، مع أن أسباب الإلحاد التي تدفع إليه كثيرة.

والتي منها: الظلم الاجتماعي، ومنها: التجهيل في التعليم؛ وذلك حينما تُهمَّش مادة التربية الإسلامية، وحينما تُوضَع لها حصص في المدارس قليلة، وحينما لا يُؤَهَّلُ مدرسو التربية الإسلامية تأهيلًا كاملاً؛ لإيصال المفاهيم الإسلامية إلى الطلبة، وحينما يُسَمَّح للطلبة بالتسبب، ولا يُعطونَ فرصة مثلاً لإقامة الصلاة، وإقامة شعائر الدين في المدارس، أو في الجامعات.

فيجب أن يُضَلَّح هذا الواقع بتطبيق شرع الله ﷻ، ونفي الظلم الاجتماعي؛ لأن من أسباب وقوع بعض الملاحدة في الإلحاد الظلم الذي عانوه بسبب الحرمان، وبسبب الفقر، وبسبب المرض، فلم يستطيعوا العلاج؛ لأسباب الطبقيّة التي عانوها؛ مثلاً في النظام الرأسمالي، أو النظام الطبقي، أو النظام الإقطاعي في أوروبا، حتى انفجروا عليه فيما عُرف بالثورة.

فيجب أن يُضَلَّح الواقع، وبذلك لا يكون لأحدٍ عذر.

وقد رأيتُ بنفسِي: بأنَّ كثيرًا مِنْ هؤلاء الذين يدعون الدعوة إلى الإلحاد، ويتصدّرون المشهد إنَّ أعطوا منصبًا، أو أعطوا مالًا فإنهم يخمدون، ويسكتون؛ فيتبيّنُ من ذلك أنَّ ما فعلوه إنما كان لمصالح شخصية، أو كما قال شيخنا الخليلي - حفظه الله تعالى -: أنَّه عَرَضَ هذا الأمر على ناظر الداخلية أيام حكم سعيد بن تيمور، وهو السيد أحمد بن إبراهيم، وذلك حين بدأت الشيوعية، أو الإلحاد يظهر عند بعض الناس في عمان، من قبل فئة الشباب خاصة، فاقترح هذا المقترح على السيد أحمد بن إبراهيم، وذلك بأنَّ يكون علاج هذا الموضوع بيدين: يد من ذهب، ويد من حديد.

بحيث يؤخذ هؤلاء بالحزم؛ لمنعهم من القيام بذلك، ولكن في الوقت نفسه يُعطون أيضًا ترغيبًا، فلا يُكتَفَى بالترهيب.

وقد ذكّر السيد أحمد بن إبراهيم هذا الأمر للمفتي السابق الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري فأيد فكرة سماحة الشيخ أحمد الخليلي في ذلك الوقت، لكن استبعد حصول ذلك؛ لأنَّ القائم بالأمر حينها لا يعرف إلَّا اليد التي من حديد، وما كان يُعطى، أو يبذل العطاء؛ لأجل كسب وُدِّ هؤلاء، مع أنَّ الله تعالى جَعَلَ في كتابه نصيبًا للمؤلفة قلوبهم من الزكاة، التي هي ركن من أركان الإسلام؛ وذلك لأجل دفع ضررهم، أو كيدهم، أو عداوتهم، ولأجل جذب مودّتهم، وترسيخ إيمانهم.

وبعض الناس يُجَدِّيهُمْ نفعًا مثل هذا الأسلوب، وعلى الأقل كما يقال: ربما يُضْلِحُ مَنْ بعدهم، ويخلصوا نيتَه أولادهم، والجيل اللاحق لهم الصادر منهم إن شاء الله تعالى.

العلاج الثامن: تحقيق العدالة الاجتماعية:

وذلك بتطبيق الإسلام، ودفع التفاوت الطبقي - بأن تكون فئة من الناس أعلى من فئة أخرى -؛ بحيث يشعر الناس بأنهم سواسية أمام التشريع، أو ما يُسمَّى بالقانون، وأنهم سواسية في العطايا، وقد يكون هناك تمييز من جهة العمل، فذاك شيء آخر؛ وذلك حين يبذل المرء عملاً يستحق به أن يُكَافَأَ على جهده، فهذا أمر آخر.

فباعتبارهم مواطنين؛ لهم نفس الحقوق، ونفس الفرص في الحصول على أعمال، وفي تولي مناصب معينة، وفي الارتقاء في هذه المناصب، وفي نيل المكافآت إن قاموا بعمل معين؛ بحيث لا تكون هناك محاباة، ويشعرون بأنهم إخوة متكاتفون متعاونون، وَيُطَبَّقُ الإسلام في هذا، لا أن يشعر الفقراء بالحرمان.

كما يُفْتَحُ المجال للجمعيات الأهلية والخيرية، أو ما يُسمَّى بالتطوعية للعمل في المجالات المختلفة؛ لتكون أيضًا رداءً مساعدًا للعمل الحكومي، لا أن يُنْظَرَ إليها أنها مُضَادَّةٌ لها، وإنما لتكون معينة على ذلك، ولا مانع من مراقبتها، لكن لا أن يُنْهَمَّ الناس في نياتهم قبل تحصيل الشيء.

فهذا مما يُكْرَسُ العدالة الاجتماعية، ويؤدِّي إلى الاستفادة من المواهب، ويؤدِّي إلى تولية الأئْفاء، الذين يمتلكون الصفات القيادية في المواضع القيادية؛ وذلك حتى ينفعوا الأمة، ويُقَطَّع الطريق على بعض الانتهازيين، أو الفاسدين المفسدين وأعوانهم؛ للتسلط على الأمة، ونهب ثرواتها، وإيقاع الظلم بغيرهم، نسأل الله العافية.

العلاج التاسع: تطبيق الأحكام الشرعية:

وهذا مطلب على كل مسلم، وهو أمرٌ ضروري، ويأتي على كل ما تقدَّم؛ فحكم الله تعالى هو الذي يُحقِّق مصالح الناس، وهو الكفيل بالحرية؛ فأحكام الله تعالى عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، وحكمةٌ كلها، ومصلحةٌ كلها، وأعجب ممَّن يدَّعي الإيمان بالإسلام، وبحكم الله تعالى ومع ذلك يستبدل بشرع الله شرعاً آخر من الشرق، أو من الغرب، أو من تلقاء نفسه، فسبحان الله العظيم!!

فكلُّ أحد مطالب بتطبيق شرع الله تعالى في نفسه، وفي أهله، وولده قدر الطاقة إن لم تُلبَّ هذه المطالب بتطبيق شرع الله في المجتمع.

وأيضاً أزمي هنا إلى تطبيق شرع الله تعالى في هؤلاء الذين يتجرأون على انتهاك الذات الإلهية، ويستهزئون بالذات العلية،

ويسخرون منها، أو بالنبي ﷺ، أو بالقرآن، أو بالأحكام الشرعية؛ فهؤلاء يجب أن يُوقَفُوا عند حدِّهم، فتارة قد يناقشون، كما يُقال: يجابه الفكر بالفكر، ونحن نؤيِّد هذا.

ولكن إن تمرَّدُوا، وواصلوا فيجب أن يوضع كلُّ واحد عند حدِّه، وأن يؤدَّب بالأدب الشرعي الذي يستحقه، أما أن يُطلَقَ لهم العنان فإنَّ هؤلاء يفسدون في الأرض ولا يصلحون، والعضو الفاسد إن لم يَرَجْ برؤه فإنَّه يُنْتَرُ؛ وإلاَّ أدَّى إلى استفحال المرض في الجسد كله، وأدَّى إلى هلاكه والعياذ بالله تعالى.

والذي يُعْرِضُ عن حكم الله تعالى يتوقَّع منه مثل هذا؛ فإنَّ الإلحاد إذا انتشر سيقضي على المجتمع كله، وسيؤدِّي إلى الفساد، وإلى نهب الخيرات، وإلى كل ظلم نتصوره؛ فضلاً عن استحقاق غضب الله تعالى ونقمته في الدنيا قبل الآخرة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِّمُوا أَنَّهُ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وكما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].



خاتمة

لنعلم جميعاً أنَّ النصر من الله تعالى، والفتح بإذن الله تعالى قريب، وهذا وعد الله تعالى؛ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]، وكما قال الله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

وقد ذَكَرَ شيخنا الخليلي في دروسه، ومحاضراته، وكما هو في كتابه مصرع الإلحاد كلمات ذهبية للإمام أبي الأعلى المودودي، وذلك في كلمة قالها سنة ١٩٤٦م في بيشاور حينما خاطب أنصاره: سيأتي بلا شك اليوم الذي تتحير فيه الشيوعية في موسكو نفسها من دون أي ملجأ، وتتعثّر فيه الرأسمالية في واشنطن نفسها بدون أي منجأ، وتهيم فيه المادية في جامعات لندن وباريس، وتتلاشى فيه العنصرية حتى عند البراهمة والألمان، وإنما تبقى عبرة في التاريخ قصة مَنْ يحمل عصا موسى تحت إبطه وهو يخشى من الحبال والخشب!!.

فالمسلمون أعطاهم الله ﷻ القرآن، وكرّمهم بهذا وشرّفهم، فما بالهم يتركون هذا النور الرباني، ويعتمدون على

أفكار بشرية هزيلة، لأناس مرضى من الشرق والغرب، يستبدلون بأحكام الله تعالى هذه الأفكار والأعمال، التي لا تؤذي بهم إلا إلى الضعف والحرمان والمعاناة؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [١٣٦] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١٣٧] قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى [١٣٨] وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿ [طه: ١٣٤ - ١٣٧]، فما بالناس لا نأخذ بهذه الهداية الربانية.

خاصة أن شيخنا الخليلي حفظه الله تعالى: ذَكَرَ بَأْنَ الْعُمَانِيِّينَ كَرَّمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَن كَانُوا أَوَّلَ أُمَّةٍ انْتَصَرَتْ، وَكَانَ لَهَا الشَّرَفُ أَنْ تَرُدَّ الْكِيدَ التَّنْصِيرِيَّ الْمَتَمَثِّلَ حِينَهَا بِالْبَرْتَعَالِيِّينَ فِي الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ الْهَجْرِيِّ، أَوِ الْقَرْنَ السَّابِعَ عَشَرَ الْمِيلَادِي، وَتَتَبَّعُوا هَؤُلَاءِ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنْ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ الْمَخْتَلِفَةِ، وَتَتَبَّعُوهُمْ إِلَى إِفْرِيْقِيَا الشَّرْقِيَّةِ، فَقَضَوْا عَلَى هَذَا الْاِسْتِعْمَارِ الْبَغِيضِ.

وكذلك كان لهم الشرف على أن ينتصروا باعتبارهم دولة على الشُّيُوعِيَّةِ؛ فَكَانَتْ أَوَّلَ دَوْلَةٍ تَقُومُ بِذَلِكَ هُنَا - فِي عَمَانَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَذَلِكَ بِتَعَاوُنِ السُّلْطَةِ الْحُكُومِيَّةِ، وَتَعَاوُنِ الْعُلَمَاءِ؛ فَكَانَ الْقَضَاءُ عَلَى الْحِرَاكِ الشُّيُوعِيِّ فِي الْجَنُوبِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٣٩٥ لِلْهَجْرَةِ، أَوْ ١٩٧٥ لِلْمِيلَادِ. وَقَدْ احْتَفَلَ قَبْلَ عِدَّةِ أَيَّامٍ بِهَذَا النِّصْرِ؛ لِأَنَّهُ وَاثِقٌ هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ - كَمَا يَقُولُونَ - تَارِيخٌ كَمَا يَقُولُونَ ١١ دَيْسَمْبَرِ.

فإذن هناك إرث حضاري، فليكن للعمانيين، وليكن أهل الاستقامة سبق في هذا المجال؛ حتى يكتمه الله تعالى.

نعم قد أكرم الله تعالى الأفغان أيضًا أن قاموا بدورٍ عظيم في هذا، وسَجَّلَ هذا الأمر أيضًا شيخنا الخليلي، وغيرهم.

وسَجَّلَ ذكرهم التاريخ؛ بأن وفَّقَهُم الله تعالى للانتصار على الشيوعية في أفغانستان، واستطاعوا هزيمة إحدى أكبر القوى العظمى في هذا العصر، وهو الاتحاد السوفيتي؛ فرجعت خسيثة منكسرة، لكن ليتهم أكملوا هذا النصر، وفرحوا وسعدوا بهذا الأمر بدلًا من أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من الفتنة الداخلية، والافتتال الطائفي؛ حتى تسلَّطَ عليهم غيرهم.

نسأل الله تعالى الفرج القريب للجميع، فالنصر آت بإذن الله تعالى، وإنما علينا الاجتهاد في هذا.



❖ توصية

١ - ضرورة إنشاء عمل مؤسسي؛ ليقوم بما ذكرت من الأفكار، وبغيره ممَّا يُقْتَرَحُ، أو يأتي إن شاء الله تعالى، ويُرَى مصلحة؛ ليكون عملنا غير مقتصر على فرد، وإنما هو عمل جماعي مُنَظَّم، يقوم بوضع أهداف يُسْعَى لتحقيقها، وتكون واضحة، ويُنْتَزَعُ ذلك في خطة، وفي وقت معين، وتقوم على ذلك إدارة مؤهلة، وأتباع تُورَّعُ عليهم الاختصاصات، ويتكاملون، ويتعاونون، ويُخْلِصُونَ نياتهم لله ﷻ؛ حتَّى يصلوا إلى مبتغاهم بإذن الله تعالى.

ليس لها إلا التفاف قوة	بقوة ومقتدر بمقتدى
ليس لها إلا نفوس طِفِثَتْ	أضغانها واشتعلت فيها التقى
يلمُّها الإيمان قلباً واحداً	وجهته الله وحشوه الهدى
إذا رمت فقوسها واحدة	وما رمت وإنما الله رمى

٢ - على هذه المؤسسات أن تقوم بدراسة الدعوة فيما يتعلق بهذا المجال، ومعرفة طرق الملاحدة، ووسائلهم، وتبعهم، واكتشاف مواقعهم الإلكترونية، وفي وسائل الاجتماعي، والتحذير من كتبهم، وبعض رموزهم، والحصول على ملفات

أيضًا لبعض مَنْ تأثر بهم؛ حتى يُسْتَدْعَى، ويعالج بالكلمة الحسنة أولاً، وإن أصرَّ فإنه يُحَذَّرُ منه، ويُعاملُ بما يليق به، وذلك بعد إبلاغ السلطات المختصة.

٣ - يكون هناك تعاونٌ بين هذه المجموعة بعد أن تأخذ الصفة الرسمية أيضًا لها، وأن تُفْتَحَ أقسامٌ في الجهات المسؤولة عن هذا الأمر تختص بهذا، سواء كانت جهات أمنية، أو جهات - بين قوسين - أيضًا دعوية، مثلًا في وزارات معينة، أو في الإعلام؛ لكي تقوم بالتعاون بينها جميعًا في هذا المجال، ويكون هناك اجتماع، ويكون هناك لقاء؛ حتى تنتظم الجهود، وتتكامل.

وعسى الله تعالى أن يأتي بالخير، مع اللجوء إلى الله تعالى، لاستمداد التوفيق، والرحمة منه؛ فإنما التوفيق بيد الله تعالى، وليس بجهود البشر؛ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، فننطلق على هذا النحو مخلصين لله تعالى، متجردين له، وعسى الله أن يأتينا بالخير؛ ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].



الأسئلة والمناقشات

الإلحاد دينٌ يحارب الدين:

الإلحاد الآن بصورته، هل أصبح مجرد ظاهرة أم أصبح ديناً يُغتنق؟

هو مع أنه يحارب الدينَ إلا أنه أصبح ديناً؛ يدينُ به المرء، وهذا هو مفهوم الدين، أي: ما يعتقده، ولذلك هؤلاء يدينون بالإلحاد، أي: بالكفر بالله ﷻ.

لكن عندما نطلق عليه ظاهرة فذلك بمعنى أنه: بدأ يتفشى، وبأن: هناك مَنْ ينتصر له.

ولكن لا شك أن الأمر قد يستفحل والعياذ بالله إن لم يُوقف في وجهه، ولأنه قد يتخذ مظاهر خادعة؛ لأجل الاحتيال على الناس.

وبغض النظر عن هذا وذاك؛ تجب محاربته، والوقوف أمامه؛ لنشر الحق إن شاء الله.

علاقة مصطلح الإنسانية بالإلحاد:

مصطلح «الإنسانية» الذي أصبح يُرَوَّجُ له بصورة واسعة الآن، هل له مدخل أو علاقة بالإلحاد؟

هذا المفهوم خطيرٌ جدًا، فهو مظهر من مظاهر الإلحاد والعياذ بالله تعالى؛ لأنه يَسْتَبْعِدُ المرجعية الدِّينِيَّةَ الحَقَّةَ، ونعني بذلك دين الإسلام.

ربما يكون مفهوم الدِّينِ مغلوطنًا، أو مُشوَّشًا عند الغربيين، أو الشرقيين؛ لأنَّهم حرَّفوا الدِّينَ، أو لأنَّه لم يصلهم نقيًا من كل شائبة، فالمفهوم الإنساني قد يكون مقبولًا لدى البعض؛ للرجوع إلى الفطرة والإنسانية.

ولكن بالنسبة لنا نحن المسلمين لدينا الدِّينُ الحقُّ، ولا يمكن أبدًا أن نتنازل عن الرجوع إلى مصدر التشريع الأول، وهو القرآن، وإلى سنة النبي ﷺ، فهذا لا يمكن، وهو أمرٌ قطعي.

نعم، إن كان المراد تعاون المسلم مع غيره فيما يتفقون فيه، وأولئك ينطلقون من مبدأ «الإنسانية»، ونحن ننطلق من مبدأ الدِّينِ، ولكن كُلُّنا نُعَظِّمُ شأن الإنسان كما أراد الله تعالى فلا مانع منه، أو أن نتعاون على ما اتَّفَقْنَا عليه لما فيه صلاح الإنسانية فلا مانع من ذلك؛ فنحن نعيش على أرضٍ واحدة،

فهناك الأمم المتحدة، تجتمع فيها الدول، ويتفرَّغ عنها مؤسسات، ويلتقي فيها المسلم بغير المسلم؛ لأجل القيام بمصالح تنفع الناس جميعًا، فهذا لا مانع منه، بل نُؤيِّده، ونُشجِّع عليه.

طبعًا إن كانت هذه المؤسسة تقوم بذلك كما في الأصل، أو كما يُدَّعى، وإن كان قد استعملت من قبل البعض؛ لتحقيق مصالح خاصة.

وكالتعاون في الكوارث الطبيعية كما في بعض الجمعيات، أو المنظمات الخيرية؛ كما في أطباء بلا حدود، والعناية بالأيتام، أو علاج مرضى القلب، أو السرطان، أو العناية بالفقراء والمحتاجين على مستوى العالم.

فهذه مبادئ نحن نُقرُّها، وندعو إليها، ومن صميم ديننا، ونتعاون مع البشر في ذلك.

لكنَّ المسلم حين يتكلَّم يجب أن ينطلق من دينه، وأن يقول قال الله، وقال الرسول، وأنا أقول هذا؛ لأنَّ ديني يأمرني بذلك، ولأنَّ الله تعالى يقول لي ذلك، فيوجد تقاطع مع الآخرين.

لكن أن يقوم بعض المسلمين بالتخلِّي عن ذلك؛ بدعوى مسايرة الآخرين فلا، والله تعالى المستعان.

الفرق بين الإلحاد والكفر والشرك:

هل هناك فرق بين الكفر، والشرك، والإلحاد؟

الإلحاد: هو الميل عن الحق؛ اعتقادًا، أو قولًا، أو فعلًا؛ فعلى هذا معنى الإلحاد أوسع.

ولكن يغلب علينا في كلامنا استعمال هذه الكلمة بمعنى: إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهذا عُزْف جرى عليه الاستعمال، وهذا الذي سلكناه؛ لأجل تحذير الناس من هذه الكبيرة، وبذلك يكون مرادفًا للشرك، سواء كان شرك جحود، أو شرك مساواة.

والكفر ينقسم إلى قسمين: كفر نعمة، وكفر أكبر، والكفر الأكبر شركٌ بقسميه.

وهناك مَنْ يقول: الكفر بمعنى المعصية مطلقًا.

وعندما نقول: كفر النعمة هو ارتكاب كبيرة دون الشرك، سواء كان ذلك الفعل تهاونًا مع الاعتراف بحرمة ذلك الشيء، أو بترك واجب، أو فعل محرم، أو كان ذلك استحلالًا؛ بتأويل فهذه كبيرة أيضًا.

ولكن هو من كفر النعمة، ولا يصل إلى كفر الشرك؛ وذلك بأن يتمسك أحدٌ بشبهة يحسبها تأويلًا، فتدراً عنه حكم الشرك،

باعتقاد حكم بخلاف الشرع؛ بتحليل حرام، أو تحريم حلال، وكان بتأويل.

أما إذا كان بغير تأويل فهو الشرك، والشرك ينقسم: إلى جحود، ومساواة، فبينها تداخل في بعض الأحيان.

الإلحاد لا يقوم على أي أساس علمي:

هل هناك مشروعٌ قادمٌ؛ للحديث عن شبهات الإلحاد، وتنفيذها؟

إن شاء الله نحاول ذلك، وإن كنتُ لا أركُزُ على بعض الشُّبُه التي يذكرونها؛ لأنَّ هذا يحتاج إلى دروس كثيرة، ولأنَّ كل شبهة تستغرق وقتًا طويلاً، ولأنني لا أشجع على ذلك كثيرًا.

وإن كنتُ أقولُ: بأنَّ هذا جهدٌ مشكورٌ، وقد انبرى لذلك شيخنا سيدي العلامة أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله تعالى في كتابه برهان الحق، وفنَّد طائفة من أهم شبهات هؤلاء الملاحدة.

لكنني أؤكد: بأنَّ الإلحاد لا يقوم على أي أساس علمي؛ كما ذكر غير واحد من الكُتَّاب الغربيين أنفسهم، وأنَّ ادِّعاءهم العلميَّة هو مخالفة للحقيقة، وتجنُّب العلم.

فليس هناك أي دليل علمي يقوم عليه الإلحاد؛ إذ العلم صنو وطريق الإيمان، ولا يمكن أن يكون يومًا مضادًا للدين الحق، أو داعيًا للإلحاد؛ لأنَّ العلم إنما يُمَثِّلُ الحقيقة، والحقيقة هي هذا العالم الذي نعيشه بمن فيه، وما فيه.

وكل الحقيقة إنما تؤدي إلى نتيجة واحدة، وهي أنَّ هذا الكون بمن فيه وما فيه إنما هو خلقُ الله ﷻ؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

اعتقاد الشرك أو القول به أو فعله كله إثم:

الاعتقاد في حقيقته قد يكون اعتقادًا، أو قولًا، أو فعلًا، فهل أثر ذلك يتساوى؟ وهل يَأْثِمُ فاعل ذلك؟
ذلك يختلف حسب نوع التصرف؛ فبعض التصرفات أشد من بعض في الإثم، وفي الأثر.

ولا شك أنَّ الاعتقاد هو أشدها؛ ذلك لأنَّ الاعتقاد هو الذي يُوَجِّهُ السلوك؛ سواء كان قولًا، أو فعلًا.

وبالنسبة للقول، أو الفعل أيضًا قد يكون شركًا، وقد لا يكون شركًا، فالسجود لصنم مع تعظيم ذلك الصنم يُعْتَبَرُ شركًا؛ كما ذهب إلى ذلك طائفة من أهل العلم.

وإنما الكلام لو سجد لصنم بإرادته دون أن يكون ذلك إكراهًا، فهل يُعتبر ذلك شركًا أم لا؟

فبعض العلماء: حكم عليه بالشرك.

وبعضهم قال: إنه لا يشرك ما دام لم يقصد بذلك العبادة لذلك الصنم.

لكنه في النهاية هو مُحَرَّمٌ، وهذا من الفعل.

وقد يكون قولاً؛ وذلك بالنطق بكلمة الكفر بأي وجه من الوجوه؛ كأن ينفي ألوهية الله تعالى، أو يعترف بالألوهية لأحدٍ من الخلق، أو غير ذلك مما يتعلّق باستحلال ما حرّم الله تعالى؛ فالأمر يختلف بحسب الفعل، أو القول الذي يقوله.

وإنَّ وَسَعَتًا مفهوم الإلحاد فيما يتعلّق بالمعصية فهذا شيء آخر، والتي هي دون الشرك، سواء كانت كبيرة من الكبائر دون الشرك، أو كانت على قول بعض أهل العلم صغيرة من الصغائر؛ فكل شيء له حكمه، فالله تعالى قال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ نَذَقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، فاعتبر الظلم في الحرمان إلحادًا، والظلم كبيرة من كبائر الذنوب ما دام صاحبها يعترف بحرمتها، أي: هذه المعصية معصية الظلم، ولم يستحلها، فهي كبيرة من الكبائر، ولكن لا ترقى إلى الشرك، ولها عقوبتها المقدرة المعروفة شرعًا.

أهمية الزاد العلمي الكافي لمواجهة الإلحاد:

الإلحاد يَتَّخِذُ صورًا وأشكالًا عديدة، وله براهين متعددة، وقد يحاول الإنسان مواجهة شخص ملحد ولكنه لا يمتلك العدة الكافية، والبراهين التي يمكن أن يستدل بها؛ لمواجهة هذا الملحد، فما نصيحتكم للتزود بالزاد العلمي الكافي لمواجهة الإلحاد؟

السؤال عن الواقع العملي؛ وذلك حين يتأثر بعض الناس بشيءٍ من هذا الفكر، فكيف تكون معاملته؟ وخاصة حينما يكون قريبًا.

الإنسان طيب نفسه، وَلِيَقِيمَ الواقعة التي يتعامل معها، وأول شيء هو اكتشاف هذا الأمر، وما دام هناك وعي فسيكتشف هذا الأمر؛ لأنَّ بعض هؤلاء الملاحدة قد يَدْعُونَ، أو يَبْنُونَ - على الأقل - هذه الأفكار، وَيُغْلِثُونَهَا، وبعض الناس بجهلهم قد لا يَدْرِكُونَ أنها منافية لشرع الله تعالى، أو أَنَّهَا تُوقِعُ صاحبها في الإلحاد، فيتساهلون مع هذا الأمر، ولا ينكرونها.

فإذا اكتُشِفَ هذا الأمر فإنَّ هذا الشخص ينبغي أن يُدْرَسَ؛ ما الذي دفعه للقيام بذلك؟ هل هو مريض نفسيًا مثلًا؟ وهل هناك أسباب اجتماعية دفعته إلى ذلك؟ وهل هناك أسباب أخرى دفعته؛ كحبٍ مثلًا؟ طالما هو شاب مثلًا، فوقع في غرام فتاة

غربية، أو كافرة، أو بسبب دراسته في مكانٍ معين، أو قراءته عن شخصية معينة، فَيُفْهَمُ ما سبب هذا الذي وقع فيه.

فبذلك إن شاء الله تعالى يُحَاوِلُ علاج هذا السبب؛ لأنَّ هذا الأمر في غالبيته لا يرجع إلى اقتناع العقل؛ وإنما هو مُكابرةٌ، وعنادٌ، أو تأثرٌ نفسي، أو اجتماعي؛ بسبب موقف من المواقف.

وقد يتخلَّى بعض هؤلاء - على الأقل - عن هذه الأفكار في لحظة واحدة، وذلك عندما يصلح ذلكم السبب، أو الخلل الذي هم فيه؛ فربما يكون هو قد أخذ موقفًا عن شخصية دينية يراها رمزًا وفعلت معه كذا وكذا، فيتنكر للدين، وحين يُجْلَسُ معه، وَيُفْهَمُ بأنَّ الدينَ ليس كما فهم، وإنما الدينُ كذا، وَيُجَزَّمُ هذا الفعل يرجع للحق والإيمان.

مثلاً شاب ربما وقع عليه انتهاك عرض من قبل شخصية تتظاهر بالدين، فنفر من الدين، وقال: إذا كان الدينُ بهذه الصورة فهذا كذبٌ، وكأنَّه نوعٌ من الانتقام، ولكن بطريقة غير مباشرة، وذلك بمعارضة هذا الشخص المتدين، ومعارضة فكره، وتأليب الناس عليه، فيتقمص هذا الشيء، فَيُبَيِّنُ له الحقيقة، وَيُعَالِجُ نفسيًا واجتماعيًا، وإن شاء الله تعالى يرجع.

أو كان ذلك مثلاً بسبب الاغترار، فمثلاً بعض الناس مُغرَمٌ بالاشتراكية، وأنها تمثل الملكية الفردية والعدالة الاجتماعية،

فيسعى إلى تطبيق ذلك؛ لما يرى من الظلم الاجتماعي، ويرى من الفساد، فيقول: أحسن حل هو الاشتراكية؛ فيتمادى في الأخذ بالشُيوعية، ونبذ الدين؛ لأنه يُبيح الملكية الفردية.

فَيُبَيِّنُ له ما معنى الملكية الفردية في الإسلام، وهل هناك أشياء جماعية؟ وهل تُقَدِّمُ المصلحة الجماعية على المصلحة الفردية تارة؟ أو دائماً؟ أو العكس؟

وَيُبَيِّنُهُ على الحقوق التي يفرضها الإسلام على العباد؛ حتى يكفل بعضهم بعضاً، وَيُبَيِّنُهُ على أَنَّ تطبيق النظام الاشتراكي لم يؤدِّ إلى ما كان يُعْجَبُ به الناس، بل أدَّى إلى الفقر، وإلى الحرمان، وإلى البؤس، وإلى التَّخَلُّف، وإلى التَّسَلُّط، وأنَّ النظام الحزبي كان هو المسيطر، كما في روسيا؛ فبعض الحفلات الخاصة كانت لستالين في قصره، وفي أولاده.

والخمر التي كانت تُقَدِّمُ، والفخامة التي كانت تُعْرَضُ بخلاف ما يُنَادَى بها أمام الناس، وكأنَّ الناس يلبسون لباساً واحداً، وليس لهم ملكية فردية، وإنما أصحاب الحزب هم المتحكمون فيه، ويعيشون غيشة رفاه وبذخ، فيُكشَفُ له مثل هذا الجواب، وهكذا.

وإذا كان عنده شبهة لا يستطيع هذا الشخص القريب المؤمن الرد عليها فليقرأ، وليتعلم، وليتصل بأحد العلماء؛ لكي يُبَيِّنَ له.

وإن رأى نفسه غير قادر على ذلك فليُنصَح هذا المتأثر بأن يأخذه إلى أحد هؤلاء العلماء؛ ليجلس معه، ولينصحه، وليناقشه مناقشة علمية هادئة هادفة؛ حتى يزول عنه هذا الغبش إن شاء الله تعالى.

وأَحْذَرُ من التشهير به، فلا يُشَهَّرُ به؛ لأنَّ هذا التشهير قد يدفعه - انتصاراً لنفسه - إلى التمرد أكثر، وإلى عدم المبالاة.

وربما بعضهم يسعى إلى ذلك لنشر فكره، فلكل ساقطة لاقطة، فلربما يبحث بعض الناس عنه ليجدوه، فيُكَوِّنُ له جماعة أو فرقة؛ ليؤثر على الناس، ويعلن جهراً أفكاره ولا يبالي، فقَدَرَ الطاقة لا يُشَهَّرُ به في بداية الأمر، وإنما يحاول احتوائه بالإغراء قدر الإمكان، وبالترغيب، ولكن إن أصر فيكون الترهيب أيضاً؛ بمعنى: إن لم يستجب فيُمنَع، فيُمنَع مثلاً من متابعة قناة معينة، ومن متابعة وقراءة كتب معينة تؤدي إلى هذا الفكر، ومن ملاقة أصحاب هذا الفكر، الذين يُلوِّثُونَ فكره، ومن متابعة بعض القنوات الإباحية، بحيث يُمنَع عنه المدد.

وربما أيضاً يُهَدَّدُ بالعقوبة إن تجرأ أكثر من اللازم، وذلك بالقدر الذي يستطيعه طبعاً، ودون إحداث فتنة في هذا الأمر، ويُعامَلُ معاملة تعيده إلى طريق الحق إن شاء الله تعالى.

فإن أباي فيزفع أمره إلى القضاء الشرعي إن أصبح يُشكّل تهديدًا وخطرًا على إخوته، وعلى أهله، وأصبحوا يتأثرون به؛ لأنّ هذا أصبح عدوًا لله ﷻ، ما دام بالغًا عاقلًا مختارًا فيما يفعل، فلا يُجاملُ في دين الله، فإنّ حقّ مثل هذا أن يُعتَبَر عدوًا لله ﷻ، ويُنزَلَ حيث أنزل نفسه.

مصادر ومراجع حول موضوع الإلحاد والوقاية منه:

ما الكتب والمراجع التي تنصّح بها؛ للقراءة حول موضوع الإلحاد؟

حقيقة؛ أنا أولاً أدعو الناس لقراءة كتاب الله ﷻ، والتّفقه فيه، فهذا أول شيء؛ فإمعاننا في تدبر كتاب الله ﷻ هو الذي يُعطينا العلم، والإيمان، والبراهين.

وكذلك ضرورة العناية بالأسلوب القرآني في غرس المفاهيم الإيمانية، وكذلك في الرد على شبهات الملاحدة؛ فالقرآن متضمنٌ لكثيرٍ من الشبه مع الرد عليها، وبالأسلوب المقنع الذي يجمع بين الإقناع العقلي والتأثير العاطفي.

وكذلك دفع الإنسان إلى الطاعة من خلال تعظيم الله ﷻ، فهذا مهم جدًا، ودراسة سنة الرسول ﷺ.

وبعد ذلك الأمر واسع إن شاء الله تعالى، وكتاب

مصرع الإلحاد لشيخنا الخليلي تَضَمَّنَ جملةً من ذلك، وهناك كتبٌ في المراجع كثيرة عاد إليها الشيخ، ويمكن الرجوع إليها.

وأعترف: أنَّ بعض الأمور مستعصية؛ فهي تتكلَّم عن فلسفات، وتتكلَّم عن جدل منطقي، وما كل أحد يُحسِّن هذا.

وعندما كُنَّا في بريطانيا في فترة الدراسة، كُنَّا نتصور أنَّ إقناع هؤلاء الغربيين من الصعوبة بمكان، وأنَّهم أصحاب فكر، وأنَّهم أصحاب ثقافة واسعة، وأنَّه لا ينفع معهم إلَّا الإعجاز العلمي، وكنتُ مملوءًا بمثل هذه الأفكار.

لكن تبَيَّن لي من الواقع: بأنَّ هناك أفرادًا كثيرين هم من البساطة ومن قلة الثقافة لا يكاد يساوون الناس في مجتمعنا، أو هم أقل من ذلك بكثير، وأنَّ عَرَضَ الإسلام عليهم بصورته الواضحة البسيطة، وعرض مزاياه، وعرض حضارته كفيلاً - بعد توفيق الله - بهدايتهم.

وَأَذْكُرُ أنَّ أحد الطلبة التقى بطالبة وهم يذهبون إلى الجامعة، وذلك في موقع انتظار الحافلة، فكَلَمَهَا عن الإسلام، وبعد عدة ساعات دخلت الإسلام، هكذا!! -

وكان بعض الناس يقف بطاولته - وهذا كان موجودًا في أكسفورد - يعرض عليهم المعروضات والمنشورات الإسلامية، من الأشرطة، وبعض الكتب البسيطة؛ للتعريف بالإسلام،

وموقف الإسلام من المرأة وكذا، وكذا، مع بعض المطويات،
ويتكلم علناً هكذا عن الإسلام، ويأتيه الناس ما شاء الله بكل
جراءة، ويسألونه عن الإسلام.

وقيل لي: بأنه يكاد في كل أسبوع هو يفعل هذا، فقط يوم
الأحد في كل أسبوع، ويدخل بعض الناس الإسلام؛ فالمسألة
بسيطة.

وكذلك في الهاید بارك في وسط لندن، وذلك فيما يسمى
بالكورنر؛ فبعض الناس يتكلمون عن الإسلام، ويُنَاطَرُونَ،
فيدخل بعض الناس الإسلام، وبعضهم من مجرد المناقشة بين
مسلم وغير مسلم يدخل الإسلام؛ فالمسألة يسيرة.

وإذا رأيناهم معاندين مصريين فلا نضيع وقتنا معهم؛ فهناك
كثيرون - والحمد لله - يدخلون الإسلام من غير هؤلاء، وماذا
نصنع بهم؟! والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ
إِنَّهُمْ لَنُصْرُوا اللَّهَ شَيْعًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

نسأل الله. العافية، فأن نعتني بأهلينا، وأولادنا - كما يقال:
عصفور في يدي خير من عشرة عصافير في الشجرة -؛ لنثبتهم
على الإسلام فهذا خير، ولندعو من يتقبل الإسلام وفي ذلك
خير أيضاً.

والإسلام وكما هو معلوم الآن هو أسرع دين انتشارًا في العالم، وأكثر مَنْ يدخله من النساء، مع وجود هذه الحركة النسوية العالمية، واتخاذ أعداء الإسلام موضوع المرأة ثغرة للطعن في الإسلام، ولكن أكثر الناس إقبالاً على الإسلام إلى الآن في أوروبا وأمريكا من النساء.

وهذا الشيء شاهدته بنفسي، وتذكُّره الإحصاءات، وقرأت عنه لكثير من الدعاة المسلمين، ويُقْبَلْنَ على الحجاب الشرعي، خِلَافًا لبعض البنات المسلمات، اللاتي بدأن يظهرن في الشارع الآن للأسف بدون حجاب، أو مع كشف الرأس، أو كشف اليدين، أو يقمن بالخلوة بالرجال الأجانب، أو بالتَّخَلِّي عن الآداب بالاختلاط بالرجال الأجانب؛ بدعوى سلامة القلب، حتى أنَّ بعض الإخوة أرسل إليَّ بأنَّ مسألة الفساد الخُلُقِيَّ أو الجرائم لا تقتصر على المجتمع الغربي، بل هذا موجود في مجتمعاتنا، ولكن ليس بنفس الكثافة، أو بنفس الدرجة.

وللأسف توجد الآن جرائم خُلُقِيَّة، وتفشُّ للرذيلة في مجتمعاتنا المسلمة، وأصبحت بعض الأمراض تنتشر، وأصبحنا نسمع والعياذ بالله عن بعض الجرائم؛ كزنا المحارم أيضًا، وما كنا نسمعه من قبل.

فهذا موجود، ونحن لا نقول: بأنَّ المجتمع عندنا مجتمع - كما يقال - مَلَكِي؛ ليس فيه إثم، أو خطيئة، فهذا لم يتحقق حتى في عهد النبي ﷺ، فَوُجِدَ مَنْ سَرَقَ وَقُطِعَتْ يَدُهُ، وَوُجِدَ مَنْ زَنَا فَجُلِدَ مِائَةَ جَلْدَةٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بِكَرًا، وَوُجِدَ مَنْ زَنَا وَكَانَ مُحَصَّنًا فَرُجِمَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى الْمَوْتِ، فَوُجِدَ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ، فَهَذَا أَمْرٌ طَبْعِي فِي الْبَشَرِ، وَإِلَّا لَمَا وُجِدَتِ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ، وَلَمَا وُجِدَتِ الدَّوْلَةُ، وَالْقَضَاءُ، وَالْمَحَاكِمُ، إِلَى آخِرِهِ.

ولما وُجِدَتْ حَاجَةٌ لِلدَّعَاةِ أَيْضًا؛ لِلتَّحْرُكِ فِي الدَّعْوَةِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَهَذِهِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ، وَلَكِنْ نَقُولُ: يَنْبَغِي أَنْ تُرَكِّزَ عَلَى الْجَانِبِ الْحَسَنِ أَيْضًا، وَأَنْ نَشْغَلَ بِهِ أَنْفُسَنَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، مَعَ عَدَمِ إِغْفَالِ دَعْوَةِ أَوْلَئِكَ، وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُسْتَعَانُ.



فهرس المحتويات

- ملحوظة..... ٥
- مقدمة..... ٧
- مدخل..... ١١
- تعريفُ الإلحادِ..... ١١
- جهودُ سماحةِ شيخنا الخليلي في دفعِ الإلحادِ..... ١٣
- تأريخُ ظهورِ الإلحادِ عمومًا..... ١٣
- تأريخُ ظهورِ الإلحادِ في عمانَ خصوصًا..... ١٧
- مِن جهودِ الغربِ في نشرِ الإلحادِ..... ١٩
- عِظَمُ خطرِ الإلحادِ..... ٢١
- مجزرةُ شعبِ الإيجورِ المسلم..... ٢١
- عاقبةُ التساهلِ معَ هذا الفكرِ..... ٢٢
- أعظمُ ذنبٍ وأعظمُ معصية..... ٢٥

- المحور الأول: أسباب الوقوع في الإلحاد ٢٩
- السبب الأول: الغرور ٣٠
- السبب الثاني: الجهل ٣٣
- السبب الثالث: كفر النعمة ٣٧
- السبب الرابع: كيد الأعداء ٣٨
- السبب الخامس: الإغراق في المادية ٤٧
- السبب السادس: اتباع الهوى ٤٨
- السبب السابع: التَّنَكُّرُ للفطرة ٥٠
- السبب الثامن: الحَمِيَّةُ الجاهلية ٥٠
- السبب التاسع: التَّرف ٥١
- السبب العاشر: التَّطَرُّف ٥٤
- السبب الحادي عشر: تحريف الدين وتشويهه ٦٠
- السبب الثاني عشر: التشبيه والإرجاء ٧٢

- المحور الثاني: وسائل نشر الإلحاد ٨٣
- الوسيلة الأولى: الإعلام ٨٤
- الوسيلة الثانية: الإغراء بالمال والجاء ٨٩
- الوسيلة الثالثة: بثُّ الشُّعارِ الجنسيِّ والفسادِ الخُلُقِيِّ ٩١
- الوسيلة الرابعة: القهرُ والتَّسلُّطُ ٩٧
- الوسيلة الخامسة: التَّربيةُ والتَّعليمُ ١٠٠
- الوسيلة السادسة: تعميمُ اللغةِ والأدبِ ١٠٣
- الوسيلة السابعة: المسرحُ والسينما ١٠٦
- الوسيلة الثامنة: الصحفُ والمجلاتُ ١٠٨
- الوسيلة التاسعة: التَّشكيكُ في الدِّينِ وأحكامِهِ ١٠٨
- الوسيلة العاشرة: انتهاكُ المقدساتِ ١١٥
- الوسيلة الحادية عشرة: قطعُ الصلَّةِ بحضارةِ الأُمَّةِ وتأريخِها ١١٦
- الوسيلة الثانية عشرة: قطعُ الصلَّةِ برموزِ الأُمَّةِ ومراجِعِها ١٢٠

المحور الثالث: مظاهر الإلحاد.....	١٢٥
المظهر الأول: الشُّوعِيَّةُ.....	١٢٥
المظهر الثاني: العِلْمَانِيَّةُ.....	١٣٠
المظهر الثالث: الحركاتُ القوميَّةُ.....	١٣٥
المظهر الرابع: حركةُ تحريرِ المرأة، أو ما يُعرَفُ بالنِّسوية	
العالمية.....	١٣٩
المظهر الخامس: الحداثَةُ والتجديدُ.....	١٤٦
المظهر السادس: العقلانيَّةُ.....	١٥٠
المظهر السابع: المؤتمراتُ المشبوهةُ.....	١٥٨
المظهر الثامن: الحريةُ المطلقةُ، أو ما يُعرفُ بالديمقراطية.....	١٦٩
المحور الرابع: علاجُ الإلحاد.....	١٧٧
العلاجُ الأول: غرسُ المفاهيمِ الإيمانية.....	١٧٨
العلاجُ الثاني: التربيةُ على القيمِ والأخلاق.....	١٨٠
العلاجُ الثالث: تعميقُ الانتماءِ للإسلام وحضارته.....	١٨١

- العلاج الرابع: ترسيخ العلوم الشرعية ١٨٣
- العلاج الخامس: فتح باب الاجتهاد والتجديد بضوابطه
الشرعية ١٨٤
- العلاج السادس: التّحصن من الغزو الفكري ١٨٦
- العلاج السابع: إصلاح واقع الأمة سياسيًا، واقتصاديًا،
واجتماعيًا، إلخ ١٨٨
- العلاج الثامن: تحقيق العدالة الاجتماعية ١٩٠
- العلاج التاسع: تطبيق الأحكام الشرعية ١٩١
- خاتمة ١٩٣
- توصية ١٩٧
- الأسئلة والمناقشات ١٩٩
- الإلحاد دين يحارب الدين ١٩٩
- علاقة مصطلح الإنسانية بالإلحاد ٢٠٠
- الفرق بين الإلحاد والكفر والشرك ٢٠٢

الإلحاد لا يقوم على أي أساس علمي.....	٢٠٣
اعتقاد الشرك أو القول به أو فعله كله إثم.....	٢٠٤
أهمية الزاد العلمي الكافي لمواجهة الإلحاد.....	٢٠٦
مصادر ومراجع حول موضوع الإلحاد والوقاية منه.....	٢١٠
فهرس المحتويات.....	٢١٥



